أحمد أسامة
نوم الذئاب
نون للنشر والتوزيع
سادر الكتب

رواية

نوم الذئاب

(ألعاب النوم)

أحمد أسامة

للنشر والتوزيع

الكتاب : نوم الذئاب
المؤلف : أحمد أسامة
تصميم الغلاف : أحمد وهبة
تدقيق لغوي: محمد عبد العال
تنسيق: أحمد مسعد
رقم الإيداع :27721/ 2024
الترقيم الدولى : 978-977-778-374-3

---

30 عمارات العبور – طريق صلاح سالم – القاهرة
ت : 01096539633
info@noonpublishing.com

جميع حقوق الطبع و النشر و التوزيع محفوظة للناشر

إهداء

إلى كل من حُرِم من الهروب

وفشل في الاختباء

إلى كل من لديه ما لا يريد أن يتذكره

ولا يستطيع أن ينساه

(١)

التعب يغمر جسده كله ويشل حركته لدرجة تجعله عاجزًا حتى عن تحريك إصبعه فضلًا عن يده أو ذراعه، يداه تمتدان على الجانبين بشكل موازٍ لجسده، يشعر بهما دون قدرة لتغيير وضعيتهما، جفناه يجاهدان ليرفعهما قليلًا، ينجح في ذلك قليلًا ولكنه لا يلحظ أي فرق، فتح عينه كغلقها لدرجة عجيبة تثير حيرته وجنونه، وَهن تام يسيطر عليه يجعله يغوص أكثر في مرقده، جسده ممدد على استقامته، أين هو؟ وما هذا المكان؟ أسئلة تتردد في ذهنه قبل أن ينسحب وعيه من جديد...

إنه يعود في نفس المكان ونفس الظروف بعد وقت لا يعلم كم دام، ولكنه هذه المرة قادر على تحريك أنامله قليلًا لتسري رعشة في جسده بأكمله وكأن روحه عادت لبيتها من جديد، قدمه أيضًا حركها يمينًا ويسارًا في تؤدة وبترو، الجو خانق جدًا والظلام سائد، أنفاسه بطيئة منهكة، غريب ما يمر به ولكن الأغرب تلك الذاكرة، ذاكرته التي يبدو بأنها أفرغت لتوها، ليس بها ذكرى قريبة واحدة تؤنس وحشته أو ترشده عن سبب وجوده هنا، لماذا لا يجرب صوته:

- هل من أحد هنا؟

خرجت ضعيفة مسموعة بالكاد تشق أحباله الصوتية لتعيدها إلى العمل بعد توقف يبدو طويل فتنحنح قليلًا قبل أن يعيدها مجددًا:

- هل من أحد هنا؟

ليست بالقوة المطلوبة ولكنها أفضل قليلًا من سابقتها ليتخذ قراره

بتكرارها مصحوبة بعزم على رفع صوته لدرجة تثير خوف سامعها، لم ترضيه ولكنها أفضل كثيرًا من المرتين السابقتين، أخذ يكرر سؤاله وفي كل مرة يعلو صوته أكثر فأكثر ويزداد حِدة.

هناك حركة ما التقطتها أذنه أو شعرت بها نفسه لا يدري ولكنها جعلته يظن بأنه ليس وحده هنا.

حركة أخرى تمر عليه خاطفة لدرجة جعلته يشك إن كان سمعها فعلًا أم اخترعتها أذنه، لا بد من أنه فأر أو ما شابه، هناك سؤال بزغ في عقله فجأة من هو؟ السؤال بدا مباغتًا رغم كونه تلقائيًا يستلزم إجابة، الصور تومض في رأسه سريعة وكأنها كانت راكدة في قاع رأسه تحتاج إلى رجة أو رمية حجر، بدأت تنسال على ذاكرته صور مختلفة له في أعمار مختلفة أغمض عينه طالبًا مزيدًا من التركيز.

اسمه (كريم حمدي) متوسط الطول أبيض البشرة جسده رياضي متناسق إلى حد كبير وشعره مموج قليلًا لذا يحرص على جعله قصيرًا بشكل دائم، وجهه مستدير وعيناه واثقتان مطمئنتان هذا هو ما يتذكره عن نفسه... عمره؟ كبير بشكل كافٍ هكذا ظن حتى تذكر ٣٣ سنة، إنه في ريعان شبابه فعلًا فماذا يفعل هنا؟

إنه مُخَدّر بشكل عجيب، هل تعرضت سيارته لحادث لقد استطاع الآن تحريك كفيه إنه يقبضهما ويبسطهما بسلاسة، حرك أحد ذراعيه فاصطدم بشيء ما ثم حرك الآخر ليلقى نفس مصير أخيه، حركهما بشكل طولي فاصطدما بسقف ما، انتابته هيستيريا شديدة ليحرك كافة أطرافه في جميع الاتجاهات، مع صراخ متقطع متحشرج يخرج من حلقه بصعوبة، لقد تملك الغضب منه تمامًا بالتوازي مع

شعور صار ينمو بداخله بقوة أنه محبوس داخل صندوق ما، صندوق ضيق جدًا بالكاد يستوعب جسده، حاول النهوض ليرتطم رأسه بسقف هذا الصندوق من جديد، هل هو نوع من المزاح ما يعيشه الآن؟

إنه يتذكر الآن بوضوح تام شخص واحد فقط، إنها زوجته (نورين)، فتاة تونسية قابلها منذ عام في ذلك المطعم، لها ابتسامة آسرة ووجه يزيل عنك أي عناء من نظرة واحدة، شعرها بلون عينيها بني طويل إلى حد ما، مظهرها هذا يجعلها تبدو متمردة على الرغم من كونها بالغة الرقة، أقصر منه بخمسة سنتيمترات على الأقل أقرب إلى النحافة، تهوى الفن بكافة أنواعه، ولكنها رسامة تقتات من بيع لوحاتها، ما إن تمسك الفرشاة حتى تخلق عوالم بديعة بألوان متناسقة بمعانٍ متوارية غالبًا لا يفهمها ولكنها تفسر له باستمتاع ما لم يحط به فهمًا، بسيطة ومكافحة مثله تمامًا، ابتعدت عن وطنها لأسباب قريبة من أسبابه، أين هي الآن؟ كيف تتركه هكذا أو ماذا ألم بها؟ يضرب في كل الاتجاهات من جديد بعد ما شاط عقله حنقًا وفي كل مرة يصطدم جسده بهذا الصندوق الخشبي، لتسطع في ذهنه ومضة تكبر لتصير شعاعًا ثم نارًا ثم لهيبًا بالتوازي مع ترتيب الحقائق في ذهنه، أنه ممدد وحيد خائر القوى داخل صندوق خشبي مغلق، الظلام يلفه من كل اتجاه، لا أحد يسمعه ولا أحد يراه ولأول مرة ينطق لسانه في ذهول ليعلن حقيقة مجنونة تفتك بوجدانه وتعصف بعقله.. إنه في تابوت!

في لحظة كهذه من العسير أن يتصرف بحكمة، لعل صراخه وركله والحركات التي أتى بها بجسده هي عين الحكمة ولكن صراخه لم

يكن ذا جدوى.

- أغيثوني... النجدة ... أنا حي لم أمت.

صوته ينطلق دون رد، الدقائق التالية لاكتشافه حقيقة وجوده داخل تابوت كانت هي الرعب ذاته مجسدًا مطلًا بوجهه المخيف، الهلع الذي شعر به لم ير له مثيلًا من قبل في حياته، ما دام في تابوت مع هذا الظلام فهو على الأرجح في قبر، التوابيت لا توضع في غرف استقبال الضيوف بالطبع، ولكن من فعلها ولماذا؟ فليست بالأسئلة الأهم، كان هناك سؤال آخر أكثر إلحاحًا، كيف ينهي هذا الوضع؟

بعد ساعة من الصراخ والركل عاد إلى الهدوء قهرًا، ذاكرته لا تسعفه بشيء، إنه عائد من ألمانيا منذ بضعة أشهر، متزوج من نورين التونسية التي يهيم بها وتجمعه معها ذكريات عدة أغلبها سعيدة تتلاحق سريعًا في مخيلته،

لقد تعرف إليها في ألمانيا، ولكن عاد إلى مصر منذ عدة سنوات، أما الحدث الذي قاده إلى هنا فلا وجود له داخل رأسه وكأنه لم يحدث، هل وقعت له حادثة ظنوه ميتًا بعدها؟ هل أصابه مرض قاتل سريع؟ هل سقط فجأة في الشارع بلا حركة بلا نفس بلا نبض ثم عادت له الحياة هنا؟ صفحة بيضاء هي ذاكرته من هذه الناحية. أين نورين؟ ماذا حدث لها بعد دفنه هكذا؟ تساؤلات تتلاعب برأسه ككرة يتقاذفها عدة فتيان.

ولكن كيف يكون في مصر ويُدفن بهذه الطريقة، لو كان في مصر ما دُفِن بهذه الطريقة داخل تابوت، ثانيًا الأوروبيون منهم من يدفن

موتاه تحت التراب كما تجري العادة ومنهم من يدفنهم داخل غرف علوية، فليأمل أن يكون دفنه من النوع الثاني ربما مع الوقت سمعه شخص ما ينقذه من هذه الخاتمة، ثالثًا إنه ليس متيقنًا هل يحكمون إغلاق التوابيت هنا قبل الدفن؟ الوقت المنقضي هذا ليس في مصلحته أبدًا.

عليه أن يحاول رفع سقف هذا الصندوق، نهض قليلًا بقدر ما يسمح به وضعه، حاول بعزم ما فيه، لكنه ثقيل جدًا أو مغلق بشكل جيد، حاول ثانية، أنفاسه تتلاحق من فرط الانفعال، إن لم يخرج من هذا التابوت في أسرع وقت فلا شك سيموت مختنقًا بعد نفاد الهواء، ولا يمكنه تحديد كم سيستمر ذلك، من جديد حاول والعرق يزحف على جسده بالكامل من أعلى رأسه إلى أصابع قدمه، حاول ثانية وثالثة ثم شعر برفع غطاء الصندوق قليلًا، كاد أن يطير قلبه فرحًا مع حدث بسيط كهذا، على الأقل لن يموت مختنقًا داخل التابوت ربما اختنق في مساحة أكبر قليلًا هي القبر ذاته، حاول مستجمعًا طاقته من جديد، إنه بالفعل يرتفع معه ولكنه سرعان ما يسقط وكأن هناك من يدفعه من أعلى ليهبط به مجددًا، عليه ألا ييأس قد تكون آخر معاركه فلا يرغب بالهزيمة فيها أبدًا، أخذ شهيقًا عميقًا ومسح عرق وجهه بساعده ثم دفعة شديدة واحدة ليتحرك الغطاء قليلًا، يمد يده ليتعرف على النتيجة، لقد انزاح الغطاء بالفعل قليلًا، هناك فجوة في ركن السقف انفرجت وحادت بعض الشيء، ولكنه ثقيل جدًا كأن قدم فيل تقف عليه، ما الذي يكسبه هذا الثقل؟ حاول بإصرار أكبر ليسمع سقوطًا مدويًا لشيء ما مصحوبًا بإزاحة الغطاء، لقد زُفِع الغطاء أخيرًا وعليه أن يقف مستقيمًا إن كان هناك

متسع ليخرج من التابوت، بالفعل مد ساقه للخروج وقبل أن تطأ الأرض، لمس صندوق يشبه الذي كان فيه ولكنه مائل على الأرض، لقد كان هناك تابوت فوق تابوته ومع استخلاصه لهذه الحقيقة اجتاحت أنفه رائحة كريهة لا تطاق حجبها من قبل غطاء التابوت، لم يكن مدفونًا وحده كما هو واضح، أطلق عدة صرخات متوالية لعل أحدهم يشعر به وينقذه.

تحرر بشكل كامل من تابوته وحاول إصلاح وضعية الصندوق الآخر، إنه ثقيل نوعًا، لا بد يحوي جثة ما، مد يده مرتجفًا مشمئزًا، هل هناك فرصة لئن تكون حية؟ سيعرف الآن، لامست يده الجثمان إنه بارد كالثلج بلا أنفاس بلا نبض، عبث أكثر ليلاحظ أنها جثة لأنثى، رغم الظلام امتدت يده لتتحسس الوجه، ثم وصل إلى الشعر، راوده هاجس مفاجئ مخيف ارتعد له كيانه بأكمله، ماذا لو أن هذه الراقدة هي نورين زوجته؟ علامات الهلع ترتسم على وجهه، كيف يجزم إن كانت هي أم لا؟ بأيدٍ مرتعشة خوفًا من النتيجة لا من الجثة تحسس وجهها ثانيةً، أنفها الدقيق كما يعرفه، ثغرها الصغير المستدير، وجنتاها اللتان طالما أشبعهما مداعبة وتقبيلًا وأخيرًا شعرها الناعم القصير الذي يصل بالكاد إلى أعلى ظهرها المتصلب جراء الموت، هنا انفجرت منه صرخة مصحوبة بدمعة حارة:

- نورين؟ نورين؟ أجيبيني أرجوكِ نورين؟

كل الشواهد لم تكن في صالحها ولا صالحه، طول الشعر وقسمات الوجه، ثم المنطق نفسه، لماذا يتم دفنها معه إلا لو كانت زوجته، لماذا تتركه يدفن حيًا إلا لو كانت هي نفسها ميتة.

وقف على قدميه ليتعرف على أبعاد هذا القبر ولتكن وسيلته حاسة اللمس ما دامت عيناه معطلتين بفعل الظلام، وكأعمى يرى بأصابعه الأشياء مد يده ودار في هذه المساحة الضيقة التي تغلفها جدران حجرية صخرية من كل اتجاه، ربما كانت المساحة ٣ أمتار × ٣ أمتار، لا يوجد سواهما بالداخل، لا بُد أن المخرج الوحيد عبر السقف رفع يده لعله يطاله، لكن دون جدوى، ثم قفز لعله يصل إليه، وحين عادت قدمه الحافية إلى الأرض اصطدمت بحيوان صغير أطلق صرخة مفزوعة مصحوبة بصرخة كريم الذي شاب شعره من الخوف في هذه اللحظة قبل أن يلملم شتات نفسه مع إدراكه أنه ليس حبيسًا وحده ولكن بصحبة فأر بائس عاثر الحظ لا يدري أي غباء قاده إلى هنا. اسودت الدنيا في عينيه وضاق صدره واستسلم لأمره، لا حياة تجديه بعد موت نورين فما بالك لو كان معها في قبر واحد، أسوأ ما في الأمر أنه سيموت دون أن يفهم، دون أن يتذكر، ولكن لسخرية القدر سيموت بجوار حبيبته في مشهد مأساوي حزين لا يتخيله بشر حتى وإن ادعوا ذلك، الدموع تتساقط من عينيه بغزارة قبل أن يحدث ما جعل قلبه يسقط في قدميه.

(٢)

مروان خليل

كيف نعرف أن هناك ساعة ليست كأي ساعة؟ لن يصير الحال بعدها كما كان قبلها، أي سحر في ذلك الوقت الذي يقلب الأمور رأسًا على عقب؟ البعض يسمونها أقدارًا، والبعض يرونها منحنيات، أما أنا فأراها فخاخًا تنصب لنا خلف أعيننا، نخطو إليها بمنتهى الثبات بل ونصارع من أجل الوصول إليها، حتى ما إن نقترب بالشكل الكافي، تفتح لنا أذرعها، فنسقط مذعورين. إن كتب لنا الخروج من هذا الفخ فسيترك في أرواحنا وعقولنا ذكرى لا يمحوها الزمان.

لا أحب الاسترسال كثيرًا ولكني رجل لا يملك الكثير من الأصدقاء، ليس لديه سوى الورق ليبثه شكواه وألمه.

كان اليوم رتيبًا عاديًا، لا ملمح له بأنه سيكون يومًا مفصليًا في حياتي وحياة أسرتي.

استيقظت من نومي في تمام الثامنة صباحًا، ارتديت ملابسي على مهل ثم غادرت غرفتي، لمحت (هدير) ابنتي وهي تتوجه إلى الحمام مسرعة، وهي تغمغم بصوت مبحوح:

- صباح الخير.

فرددت تحيتها مبتسمًا.

كعادتها لا تغادر الفراش إلا في اللحظة التي تعني أنها لن تصل أبدًا إلى جامعتها في موعدها، هدير طفلة بالغة الرقة تجلس متربعة

على عرش قلبي دون منازع، صحيح أنها تجاوزت الثامنة عشرة من عمرها لكني ما زلت أراها طفلة تلهو وتلعب دون أن تعي حساب الخطوة القادمة، فارعة الطول، رشيقة القوام، عينيها صافيتان، تدرس الهندسة في السنة الثانية في الجامعة الأمريكية، أحببتها حبين، حبي لابنتي وحبي لأمها الراحلة، إنها تشبهها تمامًا، نسخة مصغرة من المرأة التي شاركتني سنوات عمري وكفاحي، هذه هي (هدير)، أظن أن الشمس تتوقف أحيانًا في مجراها لأجل أن ترى ابتسامتها، وتمنحها قبلة على وجنتها، ناديتها بصوت مسموع:

- هيا لا تتأخري، لكي نفطر معًا.

- أجل سأنتهي سريعًا.

نزلت الدرج مستندًا على الدرابزين الخشبي، كانت (أم سامح) تجهز الإفطار كما هي عادتها، تعمل معنا منذ أكثر من ٢٠ عامًا، صارت بمرور الزمن واحدة من الأسرة لا يمكن الاستغناء عنها أبدًا، حتى إننا جميعًا نفتقدها في اليوم الوحيد «يوم الجمعة» الذي تحصل فيه على إجازة فنلجأ إلى الوجبات السريعة من أحد المطاعم الشهيرة المجاورة بإصرار من (ياسين) ابني الأول، خريج كلية التجارة والذي يساعدني في إدارة أعمالي، وعلى الرغم من طيشه واستهتاره في بعض الأمور المتعلقة بمناحي الحياة إلا أنه دائمًا ما يثبت أنه على قدر المسؤولية فيما أكلفه به من عمل، حتى تشرب كثيرًا من أسرار العمل وصرت دائم الاعتماد عليه، لم يكن (ياسين) من نوعية أولئك الأبناء الذين يجلبون المصائب إلى ذويهم ولكنه يعيش ويتصرف تحت ملاحظتي.

دقائق وتبعتني (هدير) على السفرة وهي بمنامة النوم فسألتها:

- أليس لديك محاضرات اليوم؟

- لدي بالطبع، ولكن المحاضرة الأولى تم إلغاؤها، لذا أمامي بعض الوقت قبل المغادرة.

- لك نصيب أن تري ياسين قبل الخروج، أخبريه أنني أنتظره في الواحدة ظهرًا في مكتبي، لا أريده أن يتأخر عن هذا الموعد.

- لا تقلق سأمنحه نصف ساعة إضافية من الآن، وبعدها سأجعله يكره اليوم الذي ولد فيه بعدها.

قالتها في تحدٍّ بنوع من المزاح، وهي تُضيق عينيها، ثم أخبرتني بما قام به أمس، حيث كانت نائمة في غرفتها فدبر لها مقلبًا استيقظت على إثره مفزوعة، فقررت أن تنتقم لنفسها في الصباح.

كنا دومًا أسرة صغيرة متفاهمة، ذاقت مرارة الفقد بفقدان الأم لكن باقي الأفراد التزم بواجبه تجاه نفسه والآخرين، هذا يجعلني وقت الاختلاء بنفسي أشعر بمزيج من الفخر والرضا، لكن هذا لا يكفي لتجنب سهام القدر، غادرت إلى عملي في التاسعة والنصف، مر اليوم كأنه صديق حتى كشر عن أنيابه في تمام السادسة.

هاتفتُ (هدير) للاطمئنان عليها ومعرفة كيف صار يومها، ولكنها لم تُجِب، لم يُعِر ذلك شكوكي وقتها، لطالما تكرر ذلك وما تلبث أن تهاتفني بعدها مع شرح مبرر عدم الرد، لم تتعمد ذلك يومًا، لذا انتظرت أن تعيد الاتصال بي في خلال دقائق، أو ساعة على الأكثر، ثم تناسيت الأمر منجرفًا في تفاصيل العمل قبل أن انتبه

في الثامنة مساءً، بأنه مر ساعتان على اتصالي بـ(هدير) دون أن تجيب، فعاودت الاتصال بها من جديد، ولكن أخبرني المجيب الآلي أن الهاتف خارج الخدمة، حتى ذلك الوقت ظننت الأمر عاديًا، بمجرد وصولي إلى الفيلا في التجمع الخامس، سأجدها بانتظاري كما هي العادة، لكن المفاجأة أنها لم تكن قد وصلت إلى المنزل بعد، ذلك نادر الحدوث أن أصل إلى المنزل قبلها وإن حدث تكون قد أخبرتني بخططها، أما اليوم فيبدو أنها تناست أمري تمامًا، تمنيت أن يكون لديها مبرر قوي سأعذرها من خلاله، لا أريد أن تهتز ثقتي بابنتي.

هاتفت (ياسين) لسؤاله عن أخته لعله يعرف أين هي وماذا تفعل ولكن لدهشتي ليس لديه أي فكرة منذ غادرت المنزل صباحًا، بدأ القلق داخلي بالتصاعد وتنوعت في رأسي الظنون والمخاوف حتى وصلت الساعة الثانية عشرة والنصف دون عودة ابنتي بينما أنا و(ياسين) نوشك على الجنون، توجهت إلى قسم الشرطة بعد أن التهمنا الذعر وتلاعبت بنا شتى ألوان الهواجس وكانت تلك بداية رحلة البحث عن ابنتي التي اختفت فجأة دون سابق إنذار ولأتجرع مرارة الخوف وفزع الفقد على مهل. والآن لا أعرف كيف يحيا قلبي بين المطارق ربما هي معجزة كما يظل حيًا بين الأسنان اللسان.

(٣)

علاء عبد العزيز

تنساب آفاق من عيني وينثال حفيف تراب بين أناملي، كل ما كانت تقع عليه يدي هو حبات تراب، حبات تراب باردة وناعمة للغاية كأن أحدهم ألقاني على شاطئ، ذراعي تتحرك حركة نصف دائرية بحثًا عن موضع دافئ تجده أناملي لكن دون جدوى، الإنهاك يغمر جسدي وأجد صعوبة في رفع رأسي، المفترض أني كنت نائمًا على فراشي بالمستشفى ولكنهم هناك لا يتركونك على أرض الفناء في الظلام الحالك إلا لو أرادوا قتلك، هنا بدأت أنتبه، هل نجحت الخطة؟ لم أعد في المستشفى كما هو واضح، ولكن لماذا يتركوني هنا في العراء؟ لا بد أن أحدهم قريب وسيمنحني التفسير.

لقد كللت المهمة بنجاح وهذا هو الأهم، ها أنا خارج الأسوار، كنت أطير فرحًا، لم أظن أن خروجي ممكنًا ولكن دائمًا المال له الكلمة العليا وكأنه مفتاح لكل الأبواب.

طال انتظاري قليلًا والصمت يخيم من حولي، المفترض أن أجدهم حولي الآن وأن يكونوا أكثر فرحًا وسعادة مني بل وأشد لهفة، لم يكلفوا نفسهم عناء المخاطرة من أجل أن يتركوني وحيدًا، بالتأكيد هناك شيء ما خطأ عليّ فهمه كي أتمكن سريعًا من التصرف، قبل أن أجد نفسي من جديد في المستشفى أو خلف الأسوار.

نهضت مترنحًا كالسكران، لا أحد يتصور مدى تأثير الأدوية التي منحوها لي كي تجعلني في هذه الحالة الرثة، لكنها على أي حال

دبرت لي وسيلة للخروج.

نعم لقد اعتدت الوحدة منذ زمن ولكن شتان بين الانعزال داخل غرفة والانعزال في هذا الفضاء الفسيح، واصلت السير والحيرة تعذبني.

ما زلت أمتلك ما يريدونه ولا سبيل لهم سوى الحديث معي، ساقاي تتسابقان رغم خوفي أن يكون سيري في الاتجاه الخاطئ، ولكن الإجابة جاءتني بعد قليل حين رأيت في مرمى بصري ما يبدو أنه بصيص من ضوء أصفر ضعيف يلوح في الأفق.

اقتربت أكثر بخطى أسرع والفضول يلتهمني لأكتشف بأني كنت طوال الوقت أسير فوق هضبة عالية وأني الآن أقف على حافتها، تلك الهضبة التي أقف عليها الآن تعلو عن الأرض بمقدار ٥٠ مترًا تقريبًا عن الأرض، أما المشهد الذي أطل عليه الآن في الأسفل فبدا شديد الغرابة، لم أكن وحدي كما ظننت في البداية ولكن هناك صفين طويلين من البشر، وكل من الصفين يسير في اتجاه عكس الآخر، يتحركون بتؤدة وسلام ويحافظون على النظام دون أن يخرج أحدهم عن الصف، رغم ظلمة الليل التي تحكم قبضتها على المكان ولكن بعض مشاعل نيران عديدة مثبتة جنبًا إلى بعضها بعضًا يفصل بين كل واحدة وأخرى ما يساوي مترين تقريبًا كانت تكفل رؤية واضحة ولكن هذه المشاعل لم تمتد لتبين إلام يصل هذان الصفان في نهاية كلا الاتجاهين، وبالتالي لم يتح لي تمييز ما ينتظرهما في نهاية هذا الطابور الطويل. من هؤلاء؟ إلى أين يتوجهون؟

هذا العدد الهائل من البشر أيضًا يثير التساؤل بقدر ما يمنح

من اطمئنان، الآن عليّ البحث عن مكان يتيح لي الهبوط إلى هذا المستوى، وعلى هذا السفح تحركت يمينًا بحثًا عن موضع صالح للهبوط ببطء دون أن أتعرض للسقوط.

تلفت حولي ليقع بصري على بعض التلال الصغيرة المدببة وكأنها قادمة من عالم الأساطير، لا ينقص سوى أن تظهر العربات التي تجرها الخيول والأميرات يهبطن منها، أقسم إن هذه الأرض لم أر مثلها من قبل. بعد طول بحث وجدت نقطة باتت فيها حافة الهضبة أقل انحدارًا، ممهدة إلى حد بعيد، انزلقت على صخور هذا السطح المستوي وجسدي يترجرج، صرت بمحاذاة الطريق بالأسفل حتى وجدت عند أحد المنعطفات مكانًا يصلح للهبوط، فوجدتهم يتحركون حركة آلية لا روح فيها، اقتربت من الصف الأيمن وأنا أحاول أن أستوقف أحدهم، لكنه لم يُعِرني أي انتباه، انتابتني حيرة، هل لزامًا عليّ أن أتبع أحد الطابورين؟ إن لم يكن كذلك فماذا عساي أن أفعل؟ لن أبقى وحدي طويلًا، دسست نفسي بداخل الطابور الأيمن لأتعرف إلام يقود، ولحسن حظي لم يتذمر أحد غير أن نظرة اشمئزاز سريعة لمحتها على وجه الرجل الذي وضعته خلفي، لكن هذه النظرة لم تطل لأني توجهت إليه بالسؤال:

- إلى أين نحن ذاهبون؟ إلام يقود هذا الطريق؟

في البداية لم يجب على سؤالي لكن مع تكراري السؤال شعرت بضيقه مني من ملامح وجهه العبوسة، يبدو أنه أدرك ألا سبيل للتخلص مني سوى بالإجابة لإسكاتي، فنطق أخيرًا:

- هذا الطريق يقود إلى الراحة، لكل من سأم من المعاناة.

أردت مزيدًا من التفسير لكنه كان شحيح الكلام فسألته:

- والطريق الآخر إلام يقود؟

- مزيد من الألم.

يبدو هذا الرجل واثقًا فقررت مواصلة السير في هذا الطابور فمن منا لا يبتغي الراحة. ولكني رغم ذلك لم أفهم، لا يمنحني أي تفسير ويكتفي بتلميح لا أفهمه، أريد إجابات واضحة فلماذا هذا الغموض؟ كنا نتحدث ونحن نتحرك ببطء، لا اهتمام ممن يتقدمنا ولا شكوى ممن خلفنا فسألته من جديد:

- ولكن إذا كان كذلك فلِمَ يحظى هذا الطريق الآخر بهؤلاء البشر؟

- دعهم إنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ولا يعلمون ما ينتظرهم.

- هل لديك فكرة أين نحن؟ وما هذا المكان؟ لماذا نحن هنا؟

لم يجب ولم يعلق، وكأن سؤالي حُرم على أذنه سماعه.

بحركة منتظمة واصلنا السير، المشاعل المصطفة على يميننا أوشكت على الانتهاء، والظلام يقترب شيئًا فشيئًا، لكن رغم ذلك لا أحد يتلفت، لا أحد يتردد، لا أحد يتراجع. بعد طول المسير وحين أصبح أمامي ما يقرب من عشرين فردًا، لا حظت أن من يسبقونا يختفون بشكل مفاجئ في الظلام وعيناي تحت تأثير الضباب الرمادي لا تتبين إلى أين ذهبوا.

بدأ عدد الأفراد أمامي يقل، تباعًا، كانوا عشرين فردًا، ثم صاروا خمسة عشر، ثم اثني عشر، اندهشت حين رأيتهم يقفزون واحدًا

وراء الآخر، ولكن إلى أين تقودهم هذه القفزة؟ حين صار أمامي عشرة أفراد فقط يفصل بين كل واحد وآخر ما يقرب من المتر، رأيت أننا قرب حافة جرف آخر، والسابقون يلقون بأنفسهم من أعلى هذا التل أو الجرف، ولكن يبدو أن القاع بعيد جدًا لدرجة أنه غير مرئي، إذن كيف يسقط هؤلاء بهذه السهولة، سألت من يسبقني وأنا أمسك ذراعه وعقلي لا يستوعب ما يدور:

- أنتم تقتلون أنفسكم بهذه القفزة؟

ولكنه جذب ذراعه بقوة لا لزوم لها وهو يقول:

- ألم تتعب من هذه الحياة؟

- أتقتلون أنفسكم بهذه البساطة؟ هل أنتم مجانين؟

- العكس تمامًا، الموت أهون من حياة قاسية لا ترحم.

- ما هذا العبث؟

لم يدعني أكمل جملتي حتى وجدته يدفعني بحنق بعيدًا عن طريقه.

كدت أنفعل جراء هذه الحركة ولكن المشهد التالي جعلني أتخشب في مكاني، وهو يدفعني، ليأخذ دوري، ثم يلقي بنفسه بمنتهى السهولة فاردًا ذراعيه محتضنًا الهواء من هذا الارتفاع الذي لا يمكنني حتى تصوره، وقفت مدهوشًا أمام هذا المشهد الذي أصابني بدوار مباغت، أخذ الرجل يسبح في الهواء ويدور عدة دورات قبل أن يختفي ثانية عن ناظري، هنا بدأت أتراجع إلى الخلف، بينما باقي الأفراد يهمون بالقفز واحدًا تلو الآخر، الجميع فقد عقله في هذا

المكان؟ ساقي ترتجف ويدي ترتعش وقلبي يضج بالصراخ، ما الذي يحدث هنا؟ عدت بسرعة إلى مفترق الطرق حيث تفرعت بنا السبل لألحق بالقطار البشري الآخر، عدت وأنا ألهث وعيني لا تصدق ما رأت، ساقي تفر وقدمي تركل التراب في أثناء العدو، أتمنى ألا يكون الآخرون على نفس الدرجة من الحمق، هل أنا في كابوس؟

أخذت دوري هذه المرة في نهاية الطابور وقد رأيت أن العدد يقل كثيرًا عن المجموعة الأولى، أمامي يقف رجل ضخم الجثة، طويل الشعر، كبير الرأس، ربتُ على كتفه، فيبدو أنه لم يشعر بذلك أو أن ربتتي كان أخف من اللازم، فحاولت ثانية قبل أن يستدير لمواجهتي لأسأله:

- أين نحن؟ وهذا الطابور إلى أين يقود؟

طرحتُ أسئلتي في توسل.

النظرة التي منحني إياها جعلت قلبي يجفل، كل حنق الدنيا بادٍ على وجهه، والشرر يتطاير من عينيه، وقتها ندمت على كلامي ووددت لو ابتلعتني الأرض، أو لو هناك وسيلة أشفط بها كلماتي التي خرجت دون حساب، ابتلعت ريقي وأنا أرفع يدي في محاولة سريعة للاعتذار، ما زال يرمقني بغلٍّ وكأني أسقطتُ له قتيلًا.

خرجتُ عن الصف وأنا أهرع قليلًا إلى الأمام وسط النظرات الساخطة قبل أن يخرج من الصف رجل أسمر البشرة، أكرت الشعر، غليظ الشفاه أفطس الأنف وهو يقف أمامي في عناد دون أن يوجه أي كلمة، لم أنوِ التراجع ولم يبدو عليه الرغبة في إيذائي إلا لو تماديت في استفزازه ويبدو أن خروجي عن الصف استفزه بما فيه

الكفاية.

تساءلت في حيرة :

- ما الذي يحدث هنا؟ ومن أنتم؟ ولماذا كل هذا الصمت والغموض؟ فقط أريد أن أفهم.

حين سمع كلماتي ابتسم في شفقة فبانت أسنانه ناصعة البياض وهو يرد:

- يا لك من مسكين! أنت مقضي عليك! فلِمَ تتعجل هلاكك.

- ماذا تقصد؟

فأجابني بنفس المزيج من التعاطف والسخرية:

- هنا لا مكان للطيبين، ولا للمندفعين ولا قليلي الحيلة ولا بطيئي الفهم، كان بودي مساعدتك ولكن أكبر معروف هنا أن يتمكن المرء من مساعدة نفسه.

صعد الدم إلى رأسي فصرخت فيه:

- يبدو من العسير هنا الإجابة على الأسئلة، لا تملكون الوقت لها ولكن لديكم كل الوقت للتفلسف.

وقبل أن أواصل حديثي كان هناك آخر يقف أمامي مغتاظًا وهو يمد ذراعه اليمنى على امتداده في إشارة واضحة لي بالعودة من حيث أتيت إلى نهاية الصف.

الكثرة تغلب الشجاعة ولا داعي للمشاكل، عليّ أن أتوخى الحذر وألتزم بمزيد من الصبر، عدث أدراجي من جديد، والأسئلة تتطاير

في رأسي كذباب يحوم حول قطعة من الحلوى.

لم أعرف كم مضى من الوقت، غير أنه مع تقدم الصف كانت الإضاءة تخفت والمشاعل تتباعد حتى تلاشت، كثير من الوقت أمضيته وأنا أنظر حولي متعجبًا مما يدور، أنا في كابوس طويل لا ينتهي ولا أعرف نهايته، كابوسي الأول انتهى بخروجي من المستشفى لكني كنت أفهم أسبابه وظروفه أما هنا فالألغاز تحاصرني مع هؤلاء الغرباء الذين لديهم المعلومات ولكن لا طاقة لهم بالحديث أو الشرح.

تقدم الصف أكثر وأكثر والظلام يشتد كذلك، ولم يتبقَّ سوى عدد قليل للغاية، كنا أربعة، لم أميز ملامح الباقين ولكن حين دققت النظر، كنا أمام سُلم مكون من خمس درجات يقود إلى مبنى صغير مكون من طابق واحد على له باب خشبي عتيق، كان يصدر صوتًا كل حين، توقعت أن أجد الإجابات تنتظرني بالداخل، آمل في ذلك بشدة، لقد مللت طول الانتظار. هل هو جبل ما أراه؟ نعم خلف المبنى يقف جبل شاهق لا يمكنني في هذه العتمة تبين سطحه في الأعلى، أمعنت النظر أكثر فوجدت أنه مدرج بشكل فوضوي قليلًا لكنه مهيب المنظر، هناك أعشاب وبعض الأشجار النامية على سطح الدرجات أميزها بصعوبة في هذا الظلام، لا بد أن المشهد نهارًا يخطف العين.

ليس هذا مكاني وحتمًا سأعرف بالداخل، ما الذي أتى بي إلى هنا.

فجأة انفتح الباب ليطل شعاع بسيط من نور من الداخل، كان ذلك بمنزلة دعوة للدخول، تقدم الأول بخطوات ثقيلة مترددة، ثم

الثاني وهو ينظر حوله في كل الاتجاهات، كأنه لا يعرف إذا كان ما يفعله هو الصواب، ولكنه واصل التقدم، ولدهشتي إذا بالثالث الذي يسبقني يتبعهم هو الآخر، لينطلق مبتعدًا عني، حتى بتُّ أقف وحيدًا، لا لن أنتظر، لماذا لا أتقدم معلهم؟ بالفعل تبعتهم إلى الداخل، وما إن أصبحنا جميعًا بالداخل حتى انغلق الباب ثانية من تلقاء نفسه، الإضاءة هنا أفضل بكثير من الخارج كنت أرى الثلاثة الآخرين بوضوح، أحدهم رجل قصير الطول تجاوز الخمسين من العمر، الشيب يغطي رأسه وجهه نحيف وعيناه غائرتان، ضعيف البنية بشكل ملحوظ، وهو على العكس تمامًا من الرجل الآخر، الذي كان يسبقني في الصف مباشرة الذي له رأس كبير وشعر أسود طويل وشارب كثيف، وجهه ممتلئ ونظراته شاخصة مخيفة، أما المفاجأة فكانت في رابعنا أو لنقل رابعتنا، كانت امرأة تناهز الثلاثين عاما تقريبًا، لم أتصور للحظة واحدة أن يكون بيننا في هذا المكان امرأة، متوسطة الطول لها شعر أسود مموج ووجه دائري وعيون زائغة قلقة، لكنها مع ذلك لها جاذبية خاصة تحتفظ بجمال أثيري طبيعي لا تخطئه العين، كنا نتبادل النظرات القلقة فيما بيننا، هنا المكان شاسع نوعًا مقارنة بأنها غرفة واحدة مستطيلة، أمام الباب الذي دخلنا منه مباشرة في الضلع المقابل تمامًا، كان هناك باب آخر مصفح، وبينما نحن على هذا الحال نحن الأربعة ولا نعرف ما علينا فعله، جاء صوت محايد، صوت لا يحمل أي تمييز سوى هذه الصفة أنه محايد ليلقي علينا تلك الكلمات.

- أهلا بكم في ألعاب النوم، أرض الألعاب ترحب بكم، أنتم لا تعرفون ما أنتم مقبلون عليه، ولكن دعوني أقول بأننا سنلعب كثيرًا،

وتذكروا أنتم من اخترتم هذا الطريق، كان أمامكم الطريق الآخر حيث الموت مباشرة دون عناء، ولكن عقولكم تحتفظ ببعض الأمل وقلوبكم معلقة بالدنيا، نعم ما زالت لديكم أمانيكم، ولكن دعوني أوضح، العودة إلى عالمكم ليست مستحيلة ولكنها صعبة تتطلب الفوز هنا في أرض الألعاب، لكي تعود إلى عالمك استمر في الفوز، لن تتقدم ما لم تفز، ولن تغادر ما لم تواصل الفوز، أما الخسارة فهي فادحة لأنك ستبقى معنا داخل أرضنا إلى الأبد، الباب الذي أمامكم سيفتح بعد قليل، والباب الذي وراءكم لن يفتح مجددًا، هذا هو الطريق الذي اخترتموه بملء إرادتكم، حين يفتح الباب ستكونون بصدد أول لعبة هنا، لا أعدكم بأن تكون سهلة، التحدي الأول عسير، بمجرد عبوركم الباب ستعرفون القواعد، هيا بنا لينطلق الماراثون، أراكم في الغرفة الأخرى.

(٤)

كريم حمدي

الطرق الشديد المباغت جعل قلبه يقفز باحثًا عن مخرج، قبل أن يترجم عقله بأن الخوف ليس هذا وقته، إنه الخلاص قادم بعد وقت وجيز فصرخ فجأة ليستحث الفاعل على المواصلة والإسراع.

- أنقذني.. أرجوك.

الجدران من حولة ترتج بفعل الطرقات المتتالية، هناك باب! كيف لم يتبين ملمسه؟ شعر بكم هائل من الامتنان لهذا المجهول، دقات متوالية ومحاولات للدفع، بعد دقائق بدت انفراجة في الظهور وبصيص ضعيف من الضوء يتسرب لهذا القبر اللعين ثم امتدت ذراع عارية مصحوبة بإنجليزية رديئة وقد أدرك أن منقذه ليس مصريًا ليقول هذا المجهول:

- من فعل بك هذا؟

فيرد كريم:

- لو أعلم لقتلته.

تم كسر الباب، هناك كشاف ضوئي صغير يرسل حزمة بسيطة من الأشعة لا تكفي لجعل الرؤية غاية في الوضوح، لكن وجه منقذه الذي طالعه كان أسود البشرة فارع الطول، الغضب ظاهر على ملامحه، كما يبدو إنهما واقفان في قبو ضيق مستطيل يلفه الظلام وتغمره خليط من روائح غير مريحة على الإطلاق، هناك درج بأحد

الجوانب يقود لباب خشبي عتيق موارب قليلًا ولكن الظلام يحجب ما هو بالخارج فكسر كريم هذا الصمت:

- أشكرك لإخراجي من هنا، من أنت وما الذي جاء بي إلى هنا؟

سكت الرجل ولم ينطق فأضاف كريم:

- هل سؤالي صعب إلى هذه الدرجة؟

- حين أعرف لماذا جئت إلى هنا سأبحث بعد ذلك عن سبب وجودك هنا.

ثم انطلق الرجل ممسكًا بالكشاف صاعدًا الدرج فصاح كريم مترجيًا:

- يا رجل هلا تساعدني لإخراج زوجتي؟

- يمكنك أن تمد لها ساعدك كما فعلت معك.

- هذا يجدي لو كانت حية.

قالها كريم وقلبه يرتجف حزنًا من هول ما نطق وكأنه يدرك للمرة الأولى أن حبيبته صارت مجرد جثة في قبر مظلم داخل قبو بمكان مجهول، أما الرجل الآخر فلم يتوقع هذا الرد ولكنه رد بجمود:

- علينا أن ننقذ أنفسنا كأحياء من هذا المكان الملعون ثم ننظر بعد ذلك في أمر زوجتك.

قالها وواصل الصعود فتبعه كريم قافزًا عدة درجات ليلحق به ويطرح عليه سؤاله:

- أنت أيضًا لا تتذكر ما الذي حدث؟

هز رأسه نافيًا ثم تفحصا المكان حولهما، كان القبر المزعوم في غرفة جانبية سفلية متوارية إلى الداخل بما يجعلها منعزلة عن السُلم الذي يقود إلى الطابق الأرضي، القاعة الخارجية كانت رحبة، مربعة، عالية الجدران يترامى فيها بعض الأعمدة الرخامية، هناك ثلاثة كشافات في سقف القاعة تكفلوا بإضاءة ممتازة، هناك عدد من الكراسي أمام شاشة عملاقة، ووقفا يجيلان البصر والبصيرة في أمرهما وقد لاحظا أن هناك عددًا من الأبواب المنتشرة على ثلاثة أضلاع من المربع، جميع الأبواب كانت مغلقة باستثناء باب واحد كان مواربًا ولا يظهر ما بداخله وفي إحدى الزوايا كان هناك سُلم خشبي بني اللون يقود إلى طابق أعلى، ولكن في الأعلى هناك ردهة طويلة على جانبيها عدد غير معلوم من الغرف. في الواجهة كان هناك باب الفيلا حاول فتحه ولكن يبدو أنه مغلق من الخارج.

انطلق كل منهما نحو باب يحاول فتحه ولكن باءت محاولاتهما مع جميع الأبواب بالفشل، والصدمة بادية على الرجل الأسمر وهو يقول:

- لقد خرجت من أحد هذا الأبواب وجدت نفسى نائمًا على أحد المقاعد الجلدية بالداخل، استيقظت وأنا لا أتذكر شيئًا.

انطلقا إلى باب آخر ودفعاه معًا، بدت كأنها استراحة صغيرة تحوي بعض الطاولات الصغيرة والكراسي الحديدية التي يغطي مقاعدها طبقة رقيقة من الجلد الأسود وأسفله طبقة خفيفة من الإسفنج، على الجدران الأربعة يتناثر عدد من التابلوهات ربما في ظروف أخرى وقفا وتأملاها ولكنها لم تسترعِ انتباههما طويلًا، في أحد

الجوانب وقفت ثلاجة ضخمة فضية اللون، فتحها كريم باندفاع ليجد بها عدة صنوف من أطعمة ونوعين أو ثلاثة من الفواكه التي تبدو صالحة للأكل، وعدد من المعلبات المحفوظة، جبن وعصائر وقشدة وتونة ولكن برغم شعوره بالجوع فلم يكن الطعام الآن ضمن أولوياته، ولكن وجود هذه الأطعمة منحهما بعض الراحة المؤقتة، فأيًا ما كان فيبدو أن محتجزيهم لا ينوون تجويعهم على أي حال.

وقفا يتفقدا حالهما وقد وضح عليهما الإنهاك قبل أن يتساءل كريم:

- هل نحن مخطوفون؟

فيجيب الأسمر:

- من فعلها ولماذا؟ وهل خاطفنا سيتركنا هكذا؟ لا بد أن له مطلبًا ما.

- لا أعرف، أخشى أن يُطلب منا أن يقتل أحدنا الآخر.

- لا أظن كذلك، ذاكرتي مشوشة تمامًا، لا يوجد في رأسي أي ذكرى تخص هذا المكان أو حتى سبب وجودي هنا.

- لكنك بالطبع تعرف من أنت، أليس كذلك؟ أنا أعرف، أنا دكتور كريم.

فقاطعه الرجل الأسمر باندهاش:

- دكتور؟ أنا أيضًا طبيب، هل هي مصادفة أن نتشارك نفس المهنة؟

- لا أعرف والمثير للغيظ أكثر أننا لا نكف عن طرح الأسئلة على بعضنا بعضًا.

- معك حق، ولكن ليس من الطبيعي أن نبتلع هذا الكم من علامات الاستفهام، أتفهم قصدي؟

- أفهمك يا؟..

- دكتور يورجن، يورجن كلينسمان.

واضح أنه ألماني من أصل أفريقي ولكنه يتحدث بإنجليزية جيدة.

جال كريم في المكان وهو يقول:

- المكان من حولنا يبدو كقصر زاخر بالغرف هنا وهناك، ولكنه قليل الأثاث كما أرى، باستثناء تلك المقاعد أمام الشاشة، لا أعرف ما الهدف من وجودها، هل علينا تشغيلها؟

ثم اقترب منها كريم وبحث عن أي زر يساعده في جعلها تعمل، تفحص الوصلات الكهربية، كانت سليمة، غير أنه أدرك بحتمية وجود ريموت كنترول للقيام بالأمر.

وبينما يتبادلان حديثًا يشوبه القلق والتوتر سمعا مزلاج إحدى الغرف يُعالج، فالتفتا كلاهما في الاتجاه القادم منه الصوت، لم يتبينا بعد أي الغرف ستفتح ومن ساكنها، مرت ثوانٍ قبل أن يعلن الباب عن وجه امرأة حسناء شقراء طويلة الشعر استقرت خصلاتها الذهبية الناعمة خلف أذنيها، عيناها الجميلة يقفز منهما نظرات شك وخوف لا حدود لهما، ملابسها المكونة من بنطلون جينز أسود وبلوزة بيضاء يتوسطها رسم كرتوني لم يفلحا كثيرًا في إخفاء معالم أنوثتها.

بادراها بسؤال بديهي:

- من أنتِ؟

فمنحتهما نظرة صامتة لو نطقت لقالت:

- أنتما مخبولان! من أنتما؟

بعد حوار قصير من تبادل الاتهامات وبعد أن استسلم الجميع لفكرة أنه لا أحد منهم مذنب على ما يبدو، اجتمع ثلاثتهم على إحدى الطاولات يتباحثون أمرهم، عرفوا أن اسمها ليندا بالدوين ممرضة أمريكية لها باعٌ طويل في المجال ورافقت عددًا من كبار الأطباء في مختلف الجراحات طوال مشوارها المهني، وبدؤوا يدركون حقيقة تمتعهم جميعًا بخلفية طبية ممتازة، كريم طبيب قلب بارع بكبرى مستشفيات القاهرة، يورجن طبيب مخ وأعصاب ألماني شهير جاء إلى مصر في زيارة عمل طويلة، نحيل جدًا وفارع الطول كذلك مع رأسه الأصلع تشعر وكأنه إنسان في صورة قلم رصاص، بجانب المرأة الحسناء.

لم يكن لديها جديدًا تضيفه سوى أنها تذكرت أنها وجدت بالحجرة التي جاءت منها ريموت تلفاز وهاتف محمول عريض الشاشة، ذهبت مسرعة لتحضرهما، وحين عادت أخبرتهما:

- بحسب الساعة والتاريخ في الهاتف، فنحن الآن نقترب من منتصف الليلة الثانية من شهر مارس، هل لدى أحدكما فكرة عن آخر تاريخ يجول برأسه؟

فرك كريم رأسه وهو يحاول التذكر قبل أن يخبرهما:

- منتصف فبراير هو آخر ما أتذكره، لدى زوجة، دخلت المستشفى في هذا التوقيت، وأخبرني زملائي الأطباء أن الحالة طبيعية نتيجة تعب الحمل، ولكن كيف جئنا هنا، كيف ماتت هنا؟

وأخذ كريم يبكي بينما بهت وجه ليندا قبل أن يشرح لها يورجن:

- وهل سنترك جثة زوجته هكذا؟ هل سيأتي علينا الدور لاحقًا، أي خطأ ارتكبناه كي يكون هذا مصيرنا؟

وبدا أنها على وشك الدخول في حالة هيستيريا قبل أن يصيح كلينسمان في كريم:

- لسنا متأكدين مما تقول ومن أدراك بأن هذه زوجتك؟ هل رأيت وجهها؟ هل تعرف كيف ماتت؟

توقفت دموعه قليلًا وهو يعيد التفكير فيما ذكره يورجن قبل أن ينهض واقفًا ويطلب مساعدتهما:

- هلا ساعدتماني لأقطع الشك باليقين.

ثم اتجه نحو القبو مرة ثانية وتبعه الطبيب والممرضة ثم أخرج الجثة التي لم يطرأ عليها أي تغيير سوى أنها ازدادت برودة، حاول رفعها من القدمين.

الظلام في القبو لم يمكنه من تمييز أي ملامح فاضطر إلى حملها إلى أعلى بينما كلينسمان ينتظره في باب القبو ووقفت الممرضة تتابع المشهد مذهولة، هي التي طالما رأت عديدًا من الجثث ولكن بدا لها الأمر هذه المرة فريدًا من نوعه.

اقترب كريم من وجه الجثة وتهلل وجهه، وهو يتفحصها جيدًا قبل أن يصيح:

- إنها ليست نورين.

فردت ليندا:

- هذا خبر جيد، سعيدة أنها ليست زوجتك ولكن من هي وكيف ماتت؟

أعقب سؤالها صمت طويل وهم جلوس مكونين نصف دائرة حول جثة المرأة أمامهم والتي تبدو في منتصف العمر وتشبه إلى حد كبير زوجة كريم، قبل أن ينتابهم جميعًا الفزع وتسقط قلوبهم في أقدامهم إثر الصوت القادم من خلفهم:

- أنا أعرف من هي .

ليلتفتوا في آن واحد نحو الواقف خلفهم، لا تفصله عنهم سوى مسافة قصيرة للغاية.

(٥)

مصطفى الضمراني

ضابط شرطة ومسؤول التحقيق في اختفاء الفتاة (هدير)

حين رأيت (مروان خليل) أدركت أنه يعاني وبشدة، القلق بادي على كل حركة من جسده، كل التفاتة، كل نظرة، رجفة صوته، كل حرف يخرج من فمه مغموس في انكسار لا مثيل له، خياله يعمل الآن بصورة تحطمه، أرى في عينيه سيناريوهات كارثية قد تكون كلها غير صحيحة ولكنها لا تبارح ذهنه.

روى لي قصة ابنته الغائبة وهاتفها الذي لا يعمل وصديقاتها اللاتي ودعنها عقب انتهاء محاضراتهن وسيارتها التي تعطلت فجأة فقررت البحث عن وسيلة أخرى للوصول إلى المنزل، كل هذا دار دون أن تفكر في أن تهاتف والدها للمساعدة.

- هل حدثت أي مشكلة بينكما يتعذر معها تواصلها معك؟

- لا، لقد كنا نتبادل المزاح صباحًا، ليس لي سوى ولدي وابنتي، كيف لي أن أسمح بحدوث مشكلة؟

- أعلمُ يا سيدي، ولكن الحياة لا تخلو من المشاكل، ربما هي في أزمة ما ولم ترد إخبارك خوفًا عليك، ربما تبيت الآن في منزل إحدى صديقاتها.

لم أرد أن اطرح عليه كافة الاحتمالات التي نواجهها دوريًا في خلال عملنا، ربما ترتبط بقصة حب مع شاب من سنها فتقرر مغادرة

الأهل لرفضهم هذه العلاقة أو خوفًا من الرفض، ربما تم التغرير بها وستعود في الصباح مع حجة ساذجة قد تنطلي على الأهل وقد لا تنطلي، ربما هي في الطريق إلى منزلهم بالفعل في التجمع الخامس ولديها عذر كافٍ مقنع، هذا يحدث كل يوم، والوقت الذي مر ليس بالكثير ولكن لا ينبغي أن ندع الأمر دون بحث، ولكن في الوقت الذي تتباين فيه أمامي الاحتمالات، كان هذا الرجل الستيني الوقور متوسط الطول ذو الشعر الرمادي الناعم والحاجبين الرفيعين والأنف المعكوف يرى في رأسه ابنته جثة هامدة، هذا هو الاحتمال الأكثر ترجيحًا في باله.

المكالمة التي سبقت حضوره من جانب (العميد شوقي) كانت توصي بالإصغاء إلى الرجل واتخاذ كافة الإجراءات دون إبطاء ودون حساب لأي عامل يقف أمام أي عواقب روتينية محتملة.

منحني الرجل عدة صور لابنته، فتاة تتمتع بجمال هادئ، لها وجه على شكل قلب، شعرها طويل ناعم له خصلات ثلجية فاتنة، بشرتها صافية ولا تحتاج إلى أي مساحيق تجميل، أراهن أنها محط إعجاب أغلب زملائها ومعارفها وأساتذتها من الرجال، على الفور طلبت من المساعدين تعميم الصورة على كافة الدوريات والبحث في المستشفيات والمراكز الطبية، مع تلقى كافة البلاغات عن أي حوادث وقعت في خلال الساعات الفائتة لأي فتاة تحمل نفس عمرها وأوصافها، الإجراء الأخير اتخذته خارج المكتب، حالة الرجل الجالس أمامي لا تسمح بطرح هذا الاحتمال أمامه، عدتُ إلى المكتب فوجدت هذا الرجل يلتهم إبهامه من القلق ونظرات عيونه الزائغة التي لا تستقر في مكان جعلتني أشعر بمدى معاناته ولكننا لن

نفرك المصباح حتى يخرج الجني منه ويحضرها في الحال، عليه أن يتفهم ذلك.

كنت بحاجة إلى سؤاله عن صديقاتها وأرقام هواتفهن، كذلك ينبغي الحديث مع أخيها، ربما لديه ما ليس بحوزة أبيه، كذلك طلبت على الفور تفريغ كل الكاميرات الموجودة حول باب خروج الجامعة وأيضًا تتبع هاتفها ومعرفة آخر الأرقام التي قامت بالتواصل معها، لدينا أمور علينا القيام بها ولكنها تحتاج إلى بعض الوقت بينما الرجل يظن أنه سيبقى معنا حتى العثور عليها حية أو ميتة. فحاولت تهدئته:

- أرجو من حضرتك أن تثق بنا وأتمنى أن تخفف هذا القلق الذي يقفز من عينيك، أتفهم بالطبع موقفك ولكن ما زال الوقت مبكرًا وقد تعود هدير في أي لحظة.

لم أتم جملتي حتى أخرج هاتفه كالملهوف للاتصال بابنه (ياسين) لسؤاله عنها، إنه يجلس في الفيلا منتظرًا قدومها بين لحظة وأخرى.

أنهى المكالمة دون أن يكون لدى الابن أي جديد بشأن أخته. فسألته:

- هل يمكنني اصطحابك إلى المنزل، لديّ بعض الأسئلة (لياسين) ولا أريد أن أرهقه بالحضور لدينا، هل لديك مانع أن أصطحبك إلى المنزل؟

- بالطبع، تفضل معي.

كان (ياسين) يقف في انتظارنا، شابًا خمنت أنه في منتصف

العشرينات من العمر، لا يشبه أخته، بينما هو قريب الشبه لأبيه أكثر، لديه قدر من الوسامة رغم ذلك لا أظن أن أبيه تمتع بهذا القدر في شبابه.

بقيت ساعة ونصف بصحبتهم وفي الحقيقة لم تقدم لي إجابات أخيها أي جديد، بدا الإرهاق واضحًا عليهما فنصحتهما ببعض الراحة لعل الصباح يحمل لهم أخبارًا طيبة.

في اليوم التالي التقيت عددًا من الفتيات صديقات (هدير) لم يكن لديهن ما يمكن أن يُضاف سوى أقل القليل مثل أنها طلبت سيارة أوبر لتقلها إلى المنزل بعد تعطل سيارتها، بينما لم يجزم أيٌ من زميلاتها بمواصفات معينة للسيارة التي اصطحبتها حيث أنهم قد غادروا بالفعل، بينما صديقتها المقربة قد استقلت سيارة أجرة للقاء والدتها بأحد المتاجر، وقد دارت بينهما مكالمة هاتفية بعد نصف ساعة عقب توديع بعضهما بعضًا كانت زميلتها تطمئن عليها، فأخبرتها أنها ما زالت في الطريق إلى المنزل، ودار بينهما حوار قصير حول مقالب سيارتها التي تأتي دائمًا في أوقات غير مناسبة بالمرة، نصحتها صديقتها على سبيل المزاح بأن تجعل والدها يشتري لها أخرى جديدة وتمنحها القديمة كهدية، ثم أخبرتها هدير بأنه لن يمر عيد ميلادها القادم في يوليو سوى ومعها سيارة حديثة الطراز مهما تكلف ذلك ثم تحدثا بشأن محاضرات الغد وانتهت المكالمة على ذلك، واضح أنه لم يبدو عليها أي انزعاج أو قلق من السائق، ترى ما الذي دار بعد ذلك، إنها لم تصل إلى المنزل كما نعرف هل هي من غيرت وجهتها إلى مكان آخر أم أن السائق قام بعملية الخطف المحتملة.

أما في عصر ذلك اليوم فكنا على موعد مع بعض الأخبار السعيدة، لا يوجد فتاة بمثل مواصفاتها في كافة المستشفيات، ليست في المشرحة، الفتاة حتى الآن حية، وبعد تفريغ الكاميرات تم رؤيتها وهي تستقل سيارة هيونداي حمراء اللون غير واضح أرقامها ولكن ذلك ليس عسيرًا الوصول إليه، اتصلت بوالدها لإخباره بما وصلنا إليه فجاءني رده:

- ولكن أين هي؟

لن يهدأ هذا الرجل حتى يجدها واقفة أمامه، أتمنى ألا يتأخر ذلك كثيرًا، في المساء وصلنا إلى أرقام السيارة وتتبع مسارها، لكنها اختفت في إحدى قرى الجيزة، أما الخبر الأهم فهو معرفة هوية قائد السيارة، شاب خريج كلية تجارة في أواخر العشرينات من عمره، يُدعى (علاء عبد العزيز) امتهن أكثر من مهنة عقب التخرج، ليس له سوابق جنائية، له وجه محايد لا يمكن القلق منه أو الراحة له، شعره أكرت بشرته فاتحة نوعًا، جبهته عريضة وحاجباه سميكان متصلان وله شارب يعتني به جيدًا أما عينه فتخفى أكثر مما تظهر هكذا ظننت، على الأرجح هذا الشاب هو آخر من رأى (هدير) وهناك أمر من اثنين إما أنه يعرف مكانها وإما سيدلنا على آخر مكان وصلت إليه، لقد اقتربنا كثيرًا، أتمنى أن تعود الفتاة إلى والدها قريبًا، هذا الرجل لن يحتمل غيابها طويلًا.

(٦)

علاء عبد العزيز

وقفت مذهولًا، لا أصدق حرفًا مما قيل، أي شيطان يلعب بنا؟ بسرعة استعدت ما قيل، لا سبيل للعودة إلى عالمي سوى بالفوز في أرض الألعاب، الثورة لن تنفع، الصراخ لن يفيد، الحقيقة لن تتغير، كل ما آمله أن أصحو من هذا الكابوس، شعرت بأني مغلوب على أمري، لو صح ما سمعته، فما الذي فعلته ليلقى بي هنا في عالم مجهول؟ ومن المسؤول عن ذلك، أين الآخرون؟ الذين ساعدوني في الخروج من المستشفى، ما الذي فعلوه كي يلقى بي في هذا العالم؟

لم يكن الأخرون أفضل حالًا مني، المرأة تبكي بصوت خافت، والعجوز تتراقص الدموع في عينيه، بينما الضخم يجز على أسنانه في غضب.

بكينا حتى لم يكن هناك مزيد من الدموع يمكن ذرفها ولا حتى قليل من تنهدات نطلق فيها غيظنا، نريد أن ينتهي الأمر الآن.

ولكن انفتح الباب الجديد يناديا جميعًا للدخول، فدلفنا واحدً وراء الآخر، ونحن نودع هذه الغرفة بعيون يملؤها الحسرة ونستقبل ممرًا طويلًا ضيقًا، نسمع وقع خطواتنا الحذرة عبره، يقودنا إلى الغرفة التي ما إن احتوتنا جميعًا حتى انغلق بابها المعدني من جديد لنسمع صوت تلاحم المعادن مع بعضها بعضًا بطريقة مقبضة تحطم الأعصاب وكأنهم اغلقوا عليك قبرك، الغرفة تشبه إلى حد بعيد الغرفة السابقة من ناحية الشكل والمساحة ولكن بها مائدة طويلة

على كلا جانبيها عدد من الكراسي وهناك بعض الأطباق المغطاة بمفارش بيضاء، تساءلت في نفسي هل هذه وليمة في انتظارنا، قبل أن يأتينا الصوت من جديد ومعه توتر سيطر علينا جميعًا.

- أهلًا بكم في التحدي الأول، إن أردت أن تعود إلى عالمك، فعودتك لها ثمن، والثمن في هذه اللعبة باهظ بعض الشيء، من أجل أن تغادر هذه الغرفة، عليك أن تتنازل قليلًا، هل تريد التنازل عن واحدة من حواسك أو واحد من أعضاء جسدك؟ لديك الخيار ولكن تذكر غير مسموح بتكرار الاختيار، بمعنى لو اختار أحدكم مثلًا أن يفقأ عينه فعلى الآخرين أن يتفادوا هذا الخيار تحديدًا ولكم حرية اختيار عضو آخر من جسدك للتخلي عنه، أمامكم على هذه المائدة عدد من الأدوات اللازمة التي ستساعدك في هذه المهمة، نعرف أن التحدي صعب ولهذا يمكن لأحدكم مساعدة الآخر في التخلص من قطعة من جسده، في الجهة المقابلة أمامكم، هناك باب آخر كما ترون ويوجد على الجدار الملاصق له أربعة مفاتيح موزعة عليكم، ما إن تتم مهمتك حتى تضغط على المفتاح الأول ليفتح لك الباب، الباب لن يفتح إلا لعبور شخص واحد أتم مهمته، ليس لديكم الكثير من الوقت، صحيح أن الوقت هنا غير الوقت في عالمكم ولكن لا لعبة تدوم إلى الأبد، بمجرد انتهاء المقطوعة الموسيقية التي ستبدأ حالًا، تنتهي اللعبة، ليعبر من يعبر إلى المستوى التالي، ويبقى من يبقى في هذه الغرفة إلى الأبد.

ثم اختفى الصوت دون أن يجيب عن زمرة من الأسئلة تلتهم رؤوسنا جميعًا، لتسقط المرأة الشابة جاثية على ركبتيها، بينما اندفعت أنا أطرق الباب الذي جئنا منه بيديّ وأحاول دفعه بكامل

جسدي، وأنا أصرخ من فرط الانفعال:

- افتحوا الباب، لا أريد هذه الألعاب، أريد الموت الآن.

صرخت بها وأنا أعنيها حقًا وأحسد الآخرين الذين ألقوا بأنفسهم أمامي ليلقوا حتفهم، ظننتهم في بادئ الأمر مجانين، بينما هم أكثر منا حكمة، ظللت أصرخ وأدفع الباب واستمررت في ذلك دون أن يتزحزح الباب ملليمترًا واحدًا، حتى جاء العجوز وهو يربت على كتفي ليثنيني عما أفعل، بلغت ثورتي مداها مع بدء الموسيقى في العزف، حتى خارت قواي وأنا أسقط أمام الباب، بينما عيني ترمق ضخم الجثة الذي يبدو أكثرنا ثباتًا، ولا يضيع الوقت مثلنا، يرفع المفارش التي تغطي الطاولات واحدًا تلو الآخر، لنكتشف أن ما أسفلها لم يكن أطباقًا كما تصورت بل هي أنواع متعددة من سكاكين ومقصات وخناجر ودبابيس، هناك مجموعة من الشواكيش والملاقيط، وبين كل ذلك الأدوات كان هناك طبق معدني يحتوي بعض جمرات الفحم المشتعلة، لم أفهم سبب وجودها، الموسيقى هادئة للغاية تحفزك على الراحة، على الهدوء، على النوم، موسيقى سحرية لا تبدو فعلًا من عالمنا، ولكن لها نغمات تسرق قلبك وتخطف عقلك حتى تشعر وكأن روحك شفافة، الوقت لا يسمح حقيقة بالاستمتاع بها، لأن مع نهايتها سيبدأ جحيمك الأبدي هنا، هي فقط تذكرك بضرورة قطع جزء من جسدك بأرق طريقة ممكنة، قال العجوز بسخرية:

- هل موتسارت معنا هنا؟

فأجبته:

- أهذه موسيقاه؟

- تبدو كذلك، إنها تنويعة ساحرة قريبة الشبه للغاية من مقطوعته الخالدة «ليلة قصيرة».

- «قصيرة»؟ هل تعلم كم مدتها؟ كم المتبقي أمامنا؟

فأجاب العجوز:

- لا أعرف ولكنها لن تدوم طويلًا.

أخذ الضخم يدور حول المائدة ويبدو عليه الانهماك في التفكير في أي الوسائل التي تناسبه، كان يفكر بشكل عملي للغاية ولكنى فوجئت حين تبعته المرأة بخطوات وئيدة نحو المائدة وهي تعلن في حزم:

- سأتخلى عن إحدى أسناني.

قالتها وهي ممسكة في يديها بشيء ما يشبه هذه الأداة التي يستعملها أطباء الأسنان في أثناء ممارسة عملهم، تعجبت من رضوخهما بهذه السهولة للأمر الواقع، لقد قرروا الانخراط في هذا الجنون، تمنيت لو امتنع أحدهم وأعلن العصيان، ثم تساءلت بداخلي، هل تظن هذه المرأة أنها أحسنت الاختيار؟ ليس من السهل أبدًا أن تقوم بنفسك بخلع واحدة من أسنانك من دون أي مُخدر، بدون أي مساعدة من طبيب، الصراخ سيصم آذاننا الآن.

انزوت المرأة جانبًا، بينما وجه الضخم حديثه لي:

- كف عن الصراخ كالأطفال، وتعالَ واجه الموقف!

ليس هذا وقت التظاهر بالشجاعة أبدًا، أنا فعلًا خائف ولا أظن أني أتصور قدرتي على القيام بأي مما يوجبه الموقف، أنا خاسر بالتأكيد.

حاول العجوز تهدئتي وساعدني على النهوض بينما الضخم، يقلب في السكاكين المتناثرة على المائدة، ثم امسك بإحداها، تبدو لامعة، حادة وقاطعة، مسكها بيمينه ثم فجأة أمسك أذنه اليسرى بيسراه، وقام بقطع أذنه بسرعة بالغة، ثم بدأ بالصراخ وسط نافورة صغيرة من الدم، وأخذ يتمرمغ على الأرض من فرط الألم، وأنا لا أصدق ما رأته عيني للتو، كان يُدبدب على الأرض بكلتا قدميه، سمعنا سبابًا ولعنًا لا يمكن وصفه هنا، ولكن لم تكن هذه الصرخة الأخيرة، فقد تبعتها صرخة أنثوية أخرى وهي أقل حدة بالتأكيد من صرخة هذا الثور الآدمي، كانت المرأة تحكم قبضتها على واحد من ضروسها، وأخذت تعافر وتعافر وهي تتنهد من فرط القلق، حتى جذبت بواحدة من الأدوات أحد ضروسها، وتبدأ في بكاء وصراخ أنثوي لا يحتمل وهي تمسك بيمناها الضرس الذي خلعته، بينما الرجل العريض يتلوى على الأرض من الألم، الصراخ المحيط مع الموسيقى المنبعثة من اللا مكان أو من كل مكان خلقت حالة شيطانية من الهيستيريا التي يصعب معها الاحتفاظ بنقطة عقل واحدة، الجنون هو المتاح أمامك الآن، في غرفة تضم ٤ أشخاص مقبلين على مهمة بسيطة قطع جزء من أجسادهم.

لم يتبقَّ سواي أنا والعجوز، اتجهنا نحو المائدة وعيوننا تقع على ما لذ وطاب من الأدوات الحادة، رغم ما رأيته من المرأة وضخم الجثة، وبينما أنا افكر في طريقة سهلة لاجتياز هذا التحدي بادرني العجوز بسؤاله:

- هلا ساعدتني في نزع هذا الظفر؟

قال جملته وهو ممسك بأداة تشبه الكماشة وأنا لا أتخيل أني يمكنني فعلها أبدًا لا لنفسي أو لغيري، هذا أمر يفوق الخيال، بينما الرجل العجوز يكرر طلبه في صيغة رجاء.

وافقتُ مقابل أن يعدني بمساعدتي في قطع بنصري الأيسر وأنا أمنحه بلطة حادة كفيلة بقطع ذراعي لو أردت.

حاولت إتمام الأمر بأقصى سرعة ممكنة، ولكن التردد جعل كلانا ينهار جاثيًا على ركبتيه، فقال العجوز:

- أسرع أرجوك! لا أريد البقاء هنا إلى الأبد.

لم أفهم كيف يترجاني لأفعل ذلك، ولكن لا سبيل سوى الإذعان لطلبه، ولكن ما إن فعلت سقط الرجل على جنبه صارخًا ثم كأنه مغشيٌ عليه لم يجب على محاولاتي معه للإفاقة، هل مات؟ هل كان الأمر أكثر من قدرته على التحمل، بينما الدم يجري على أصابعه وكفه بالكامل، حاولت معه ثانية حتى بدأ يستجيب، كان يبكي حقيقة لا مجازًا من فرط الألم، شعرت بالذنب تجاهه، لأني من ألحقت به الأذى على هذا النحو، مر الوقت بطيئًا ثقيلًا، ولكن الموسيقى يتعالى رتمها بشكل يوحي بأنها وصلت إلى الذروة وأوشكت على الانتهاء. حولي ثلاثة أفراد، كل منهم يلملم جرحه في جزع، لم يتبقَّ سواي، ما أصعب أن تختار تذكرة عبورك هنا! اتجهتُ نحو العجوز ولكني فوجئت بقوله لي:

- أشكرك.

بعد وقت قليل للغاية نهض من جديد وهو ينظر في عيني ويسألني:

- هل أنت جاهز؟

كيف أرد على سؤال لعين كهذا؟ أردت لو أجبت بصدق «لا» ولكن كيف يظهر العجوز والمرآة شجاعة وثباتًا لا أحظى بنصفهما، فهززت رأسي موافقًا، والموسيقى قد تتوقف بين لحظة وأخرى، وضعت كف يدي على المنضدة، حاولت إبعاد إصبعي الصغرى عن باقي الأصابع، التضحية لا تحتمل الخطأ ويكفي إصبع واحدة، هوى بالبلطة بكامل عزمه ليفصل قطعة من جسدي عني. ويستمر صراخي جراء الألم حتى ظننت أن حنجرتي ستودع جسدي عبر فمي. ثم توقفت الموسيقى فجأة ولم يتوقف صراخي.

(٧)

ضياء السلاموني

أستاذ أمراض القلب والأوعية الدموية والطبيب الخاص لرجل الأعمال (مروان خليل)

بعد أن أنهيت عملي في المستشفى في تمام الساعة الرابعة عصرًا، كنت في طريقي إلى المنزل لتناول الغداء والحصول على قسط قليل من الراحة قبل استئناف العمل قي عيادتي الخاصة بمصر الجديدة في الثامنة مساءً طبقًا لجدول أيامي الذي يتكرر بشكل دوري سريع حتى إنني ما أن أنهي اليوم حتى أتفاجأ بقدومه من جديد بعد يومين، وليس بعد أسبوع كما هو مفترض لدرجة تجعلني أتساءل أحيانًا هل مر أسبوع بالفعل أم أن هناك حيلة ما أو خدعة لا يلحظها الجميع، أحيانًا أتصور أن هناك من يمسك بجهاز الريموت وبضغطة زر لا تستمر أكثر من دقيقة تجري معها أعمارنا أيامًا لا نشعر بحقيقة الوقت فيها ومن فرط الاحتيال أننا نحتفظ بذاكرتنا ببعض التفاصيل التي تؤكد أننا عشنا هذه الأيام بالفعل.

سيطرت تلك الأفكار على رأسي وأنا أقود سيارتي، رأيت الهاتف المحمول يتراقص من فرط الحماس إثر اتصال هاتفي من (ياسين مروان) ابن رجل الأعمال (مروان خليل) ذائع الصيت صاحب أكبر توكيلات السيارات في مصر وأحد أكبر أباطرة الأثرياء في مصر، كنت قد أجريت له جراحة بالقلب منذ ما يقرب من خمس سنوات ومن وقتها تولدت بيننا صداقة لم تقتصر على علاقة طبيب بمريضه، وصرت أتابع حالته باستمرار، تلقيت المكالمة فسمعت الولد

يستغيث وهو في حالة فزع إثر تعرض والده لنوبة قلبية، حاولت طمأنته قليلًا، وعدت أدراجي نحو التجمع الخامس ولحسن طالع الرجل كان الطريق سلسًا فوصلت إليه في زمن قياسي، لأجده في حالة مزرية بالفعل ويحتاج إلى عناية فائقة، تم نقله إلى المستشفى وأنا بصحبته لاتخاذ اللازم، لو تأخرت عليه نصف ساعة كانت ستكون الأخيرة من عمره، عرفت من ابنه أنه يعاني بسبب حادث اختفاء أخته، فقد فشلت الجهود المبذولة في العثور عليها ومنذ ذلك الحين والرجل يعاني دون أن يتكلم، حتى انهارت قواه وأعلن قلبه الاستسلام، رفقت لحاله، أنا أعرف مقدار حبه لـ(هدير) إنها وردة عمره التي لو ذبلت لذبل معها فما بالك وهي غائبة تعانى مصيرًا مجهولًا وتواجه أحد سيناريوهات مفزعة، في اليوم التالي حين زرته في العناية المركزة لم يسألني عن حالته، لم يسألني عن موعد خروجه، لم يدعني أطمئنه كما هي العادة، فقط سألني برجاء ووهن:

- هل عادت (هدير)؟ هل وجدوها؟

- سيعثرون عليها ويطمئن قلبك، إنها مسألة وقت لا أكثر.

أشفقت لحاله كثيرًا، وأظن أن بعض الابتلاءات أكبر من غيرها وهو الآن يواجه إحداها.

رغم كل ما لديه من مال ولكن حياته ليست بمنأى عن العواصف، سيبقى تحت الملاحظة الدقيقة حتى تتحسن حالته، لكنه لا يبدو مكترثًا لذلك.

بعد ٤ أيام تحسنت حالته، فطلب مني مغادرة المستشفى، أبلغته أن ذلك يقترن ببعض الخطورة ولكن وجدت لديه إصرارًا على ذلك،

فطلبت منه لقاء ذلك الابتعاد عن أي إجهاد أو توتر، أعلم استحالة ذلك، هو في قلب معركة لا يعرف متى ستنتهي وخسائره حتى الآن فادحة.

كتبت له عددًا من الأدوية التي ينبغي الالتزام بتناولها إن كان يريد أن يرى (هدير) مرة أخرى حين عودتها وإلا فإنه يلقي بآماله تحت عجلات قطار المرض.

مر أسبوع على اختفاء الفتاة ويبدو أن الشرطة ليس لديها ما تقدمه، ولم يتوقف دوري عند حد متابعة حالته الصحية كما ظننت.

لقد فشلوا في العثور على المتهم الأول (علاء عبد العزيز) صاحب السيارة التي استقلتها الفتاة، أما السيارة نفسها فتم العثور عليها مسروقة لعصابة تخصصت في هذا النوع من السرقات، أهل علاء توحدت أقوالهم بأن المذكور اختفى تمامًا في نفس يوم الاختطاف، وهو ما يضع احتمالات عديدة:

- هل كانت الجريمة مدبرة ومخططًا لها وبالتالي اختفاءه منطقيا عقب قيامه بمهمة الاختطاف؟ ولكن هذا الاحتمال يخلف وراءه سؤالًا هامًا ما الدوافع إلى الاختطاف وإذا كان الفاعل لم يقدم على أي تواصل مع والد الفتاة بالغ الثراء والذي لن يتردد في دفع أي مبلغ مقابل استرداد ابنته.

- احتمال آخر وهو تعرض الفتاة وعلاء لحادث ما أدى إلى غيابهما بهذا الشكل ولكن هل ما زالا أحياء وأين جثتاهما؟ هل لعلاء شركاء في هذا الحادث أم أنه المخطط والمنفذ الوحيد؟

- احتمال ثالث هل هناك علاقة تربط بين هدير وعلاء، هل نويا الهرب معًا، أجد ذلك عسيرًا إلى حد ما خاصة أنها لم تلمح لا من قريب أو من بعيد لأحد بأبعاد هذه العلاقة ولم يلاحظ المحيطون بها أي أمارات لهذا الاحتمال.

لاح بصيص من نور وظهرت جثة لشاب رمتها المياه الجارية لإحدى الترع، كانت قد تحللت وتشوهت معالمها تمامًا وصار من العسير التعرف عليها، تم إرسالها للتشريح ومعرفة سبب الوفاة، وكانت النتائج اللاحقة هي الخيط الأول.

كانت الجثة لعاطل عن العمل حاصل على دبلوم صنايع يسمى (سيد كاوتش) عمل سابقًا في صيانة السيارات قديمة الطراز وهذا هو سبب شهرته «كاوتش» ولكن صاحب الورشة طرده لعدم التزامه بالمواعيد حسب شهادته، جذوره من محافظة الفيوم لكنه عاش بالقاهرة والجيزة وضواحيها متنقلًا بين أكثر من مهنة وأكثر من مكان للعمل، لكنه لم يبقَ في أي وظيفة أكثر من شهرين.

كان وثيق الصلة بعلاء قائد السيارة، لقد تزاملا معًا لمدة ستة أشهر بإحدى شركات الرخام، الأول كسائق والثاني كمحاسب، لكن كليهما لم يستمرا في العمل وتركاه بعد أشهر قليلة، كانا على اتصال دائم ببعضهما بعضًا لاحقًا ويبدو أنه نشأ بينهما نوع من الصداقة، شوهدا معًا أكثر من مرة في عدد من المقاهي المحيطة بمحل سكنيهما، أما تقرير الطب الشرعي عن سبب الوفاة والذي نُشِر لاحقًا يؤكد أن سبب الوفاة طعنة نافذة بالقلب من سكين صغير منذ يومين، وهذا يشير إلى أن وقت وقوع الجريمة عقب عملية الخطف بليلة على

الأكثر، ثم تم إلقاء الجثة في مجرى إحدى الترع، وجرفها التيار عدة كيلومترات.

بإعمال بعض الخيال يمكن تصور أن سيد هو الشريك المستتر لعلاء في الجريمة، وأنه دب الخلاف بينهما لسبب مجهول، هذا الخلاف أفضى إلى إقدام علاء على قتل شريكه، ما نوع الخلاف الذي نشأ بينهما وتسبب فيما تلا الاختطاف، ما الذي فعلاه بالفتاة؟ وهل ما زالت حية أم لا؟

ثم أعلن (مروان خليل) عن مكافأة سخية لمن يدلي بأي معلومات تخص ابنته ومكان وجودها ومبلغ مجزٍ ضخم لمن يرشد عن أي معلومات حديثة بشأن (علاء عبد العزيز) ومكان وجوده.

بعد يومين تقريبًا تم التعرف على (علاء) في أحد المطاعم بواحدة من مدن الدلتا، تم القبض عليه ومواجهته بكل الجرائم المنسوبة إليه وأنكرها جميعًا، ولكن مع الضغط اعترف بأنه تعامل معها ذات يوم لكنه لا يتذكر أي تفاصيل تخص لقاءه بها، سوى إنه أوصلها إلى القاهرة الجديدة ولا يعرف عنها شيئًا عقب ذلك، أما بخصوص مقتل صديقه فأنكر صلته بذلك مندهشًا.

رجال الشرطة يقولون إنه يكذب، وتم التأكد من مراوغاته بفحص هاتفه وهاتف المجني عليه، لقد جمعتهما مكالمة استغرقت عشر دقائق، تم توجيه تهمة القتل العمد إليه، ولكنه أنكر بالطبع، لكنه كان المشتبه به الأول والوحيد فالمجني عليه والمتهم شوهدا كثيرًا في الأيام الأخيرة مما يدل على أن هناك أمورًا جمعتهما لا يستبعد أن يكون اختطاف (هدير) على رأسها، كانت قرائن الاتهام قوية والمتهم

ليس لديه ما يثبت ما يقول، بل على العكس هو آخر من شاهد الضحيتين وتعامل معهما، لكن الغريب في الأمر هو عدم وضوح الدوافع، لماذا قام بخطف الفتاة؟ لماذا قتل صديقه؟ ما مصير الفتاة؟ هل قتلها؟ أين جثتها؟ هناك حلقة مفقودة تنتظر العثور عليها لتكتمل الصورة.

وفي الوقت الذي تواصل فيه غياب الفتاة، صار احتمال تعرضها للقتل هو الأقوى وساءت حالة والدها الصحية الذي يذبل بنفس سرعة الأزهار في الذبول، بنظرة عين يمكنك أن تعرف هذا الرجل لن يبقى طويلًا، لو تم العثور على جثة ابنته سيصطحبها دون تردد وفي رضا إلى القبر جثتين هامدتين.

(٧)

علاء عبد العزيز

هل سبق لأحد أن فقد نفسه؟ أن وجد نفسه محاصرًا داخل عقله لا يستطيع الهرب، لا يمكنه الفكاك مما هو لا يُطاق؟ هذا حالي الآن.

لم أكن متفائلًا بشأن مستقبلي ولكني لم أتشاءم إلى الحد الذي يجعلني أتصور أن ينتهي بي المطاف داخل سلسلة قاسية من الألعاب تسمى ألعاب النوم، حتى ليبدو الموت معها حدثًا بالغ الرقة، المشكلة هنا أنه لا مجال للعودة إلى المربع الأول والقفز بحثًا عن الموت، لقد اخترت الحياة فعليك أن تقدم كل ما تقدر عليه لتحظى بها مع ملاحظة أنك لا تعلم مقدار ما ينتظرك من ألم وخوف وجنون.

كانت حياتي رتيبة محبطة قبل سنوات، ما زلت أذكر حالتي وهيئتي في أثناء دراستي بكلية التجارة، كل زملائي ينتابهم نفس الشعور، من العسير العثور على وظيفة بهذه الشهادة (بكالوريوس التجارة)، لا تحلم بوظيفة في بنك، لأنك لا تملك الواسطة لذلك، لا تحلم بوظيفة بكبرى الشركات لأن هناك خريجو الجامعات الأجنبية وأوائل الدفعات، ربما عقد عمل بالخارج يمنح لك حياة يسيرة نوعًا مع شعور ممتد بالغربة إلى ما يشاء الله، بضع سنوات أخرى حتى تمتلك مبلغًا من المال يؤهلك للارتباط والزواج، أحلام بسيطة لكنها لم تتحقق، كُتب علينا أن نطلب أقرب شيء لا تبلغه أناملنا ونظل نطارده طوال حياتنا، ليس ذلك فحسب بل هناك كابوس ثقيل يجثم على صدري الآن بل وحياتي كلها هنا في هذا المكان الملعون.

كنا نحن الأربعة الذين مررنا من التحدي الأول نجلس في أرضية الغرفة الجديدة، غرفة ناصعة البياض، الإضاءة بها قوية للغاية بل هي أكثر من المطلوب، كنا نرى بعضنا بعضًا بوضوح تام ولكن كل منا لديه جرحه ويبكي على ليلاه. لذا عم الصمت بعض الوقت قبل أن أقطعه أنا بسؤالي:

- لماذا نحن هنا؟ كيف جئنا هنا؟ هل لديكم فكرة؟ أرجو أن يجيبني أحدكم؟

يبدو أن سؤالي أزعجهم لأنهم جميعًا وجهوا بصرهم نحوي في ذات الوقت دون أن يأتوني بإجابة، فواصلت الضغط أكثر، لأن هذا الصمت يدفعني نحو الجنون:

- هل نحن مخطوفون؟ هل من أحد يبحث عنا؟ هل هناك نجدة بأي شكل؟

بعد دقيقة من الصمت جاء صوت العجوز بطيئًا جازمًا:

- لسنا مخطوفون، نحن نائمون، أنت في عالمك الذي تعرفه راقد على الفراش، ربما الآخرون يحاولون إنقاذك، لكن هل هذا سيُجدي؟

هنا تدخلت المرأة للحديث للمرة الأولى:

- هذا حلم، أليس كذلك؟ نحن في حلم طويل لا ينتهي، أو لن ينتهي بإرادتنا؟

فأجابها العجوز:

- ليست لي خبرات سابقة هنا، معلي معلكم، لا أعرف كيف ينتهي ما

نحن فيه.

فقلتُ على الفور:

- لكن لا يوجد نوم إلى الأبد، حتمًا سأستيقظ أو أموت، وحين أستيقظ سينتهي هذا الكابوس.

قلتها بصوت لا يخلو من تمنٍّ:

- أتمنى ذلك ولكن بحساباتنا التي نعرفها فقد مر علينا هنا ما يعادل اليوم، لا أتذكر أني قد نمت طوال عمري هذا العدد من الساعات من قبل.

فسألته:

- وماذا يعني ذلك؟

- ربما نحن في غيبوبة، فاقدين للوعي.

وهنا تدخل الضخم في الحديث لنسمع جميعًا صوته الأجش:

- وماذا لو متنا على الفراش، هل سينتهي هذا الكابوس طويل الأجل؟

فأجاب العجوز:

- أظن كذلك، للموت حسابات أخرى، لا تحديات، لا ألعاب، بهذا الشكل.

فتساءل الضخم مرة أخرى:

- إذا كان الأمر كذلك، فلماذا نحن هنا؟ ما هي جريمتنا نحن دون

غيرنا، لنواجه هذه الألعاب؟

- تذكر أننا كنا كثيرين، وكان هناك منهم أكثر اختاروا الرحيل، لا أعرف حقيقة هذا المكان ولكني أحاول التذكر، لديّ فرضية لا أعرف مقدار صوابها، ولكني ما زلت أعمل عليها.

فقلتُ بعصبية:

- تعمل عليها، هل لديك الوقت لذلك؟

- لا أقصد المعنى الحرفي ولكني أحاول فهم الأمر ليس أكثر.

- وما هي نظريتك في هذا الشأن؟

- قلت لك لم أنتهِ منها بشكل كامل، يتبقى لي قطعة البازل الأخيرة كي تكتمل الصورة.

أدركت أنه يرفض الحديث دون أن يكون على يقين كامل بفكرته، هذا النوع من البشر منظم للغاية، لا ينطق كلمة دون أن يدرسها جيدًا، قابلت أمثاله كثيرين بالخارج، ولكني لم أظن أني سألتقي أحدهم هنا، على أي حال نبدو هنا مجموعة متباينة الأعمار والصفات، لا أفهم كيف تم تجميعنا ولماذا نخوض الألعاب هنا معًا، هل هذا أمر مؤقت وسنتفرق قريبًا، أم سيمتد الأمر حتى النهاية؟

لم يعد لدي أمل سوى في أمرين، إما أن يتمكنوا من إيقاظي في عالمي في أقرب وقت ممكن، حتى لو عدت إلى فراشي في المستشفى، على الأقل هناك أعلم وجهتي المقبلة وليس هناك من يتربص بي لتعذيبي والتنكيل بي بهذا الشكل، أما الأمر الثاني هو الموت، ماذا لو مت في أي وقت، هل سينتهي أمري؟ أظن كذلك،

ولكني غير جاهز للموت الآن، لدى خطاياي لم أكفر عنها بعد، لدي ذنوب لا يعلمها سواي، لو مت الآن، فأخشى أن تكون جهنم في انتظاري، أن يبقى الجحيم مأواي، فلأعمل على العودة، سأبذل أقصى ما أستطيع للمرور من هنا، لا أعرف عدد التحديات التي عليّ اجتيازها من أجل العودة إلى حياتي ولكني لن أستسلم أبدًا.

لاحظتُ أنه مر بعض الوقت منذ انتهائنا من اللعبة الأولى، دون أن نسمع ذلك الصوت. هل يمنحونا فرصة للراحة أو لالتقاط الأنفاس؟ يبدو الأمر كذلك.

حلّ الصمت مرة أخرى وكل منا شارد فيما لا يعلم الآخرون، ولكن تفكيري يجعلني ارتجف من هول المصير الذي ينتظرني هنا أو في عالمي، كل الطرق وعرة، كل الاختيارات مؤلمة، الحياة اختبار عسير لستُ أهلًا له والموت لم أقدره حق قدره، تبًا لتعاستي أنا الخاسر الأعظم!

قطعت صمتهم المتواصل دون داعٍ:

- هل تتذكرون لحظتكم الأخيرة في عالمنا قبل الوصول هنا؟ ما مدى نجاح ذوينا في إنقاذنا وإعادتنا إلى الحياة؟

هنا انتبهت المرأة وكأن أمل جديد نبت من كلماتي فحاولت التشبث به:

- نعم كنت بصدد القيام بعملية جراحية لإزالة ورم بالقولون، كان الجميع حولي يردد بأنها عملية يسيرة لا تستدعي القلق، خاصة وأنه تم اكتشافه في مرحلة مبكرة وبمحض المصادفة، حتى تم

تجهيزي بعد إجراء الفحوصات اللازمة، كانت الأمور تسير بشكل جيد، لا أدري ما الذي حدث، كنت نائمة في غرفة العمليات والأطباء من حولي يتمازحون لإزالة أي توتر أو قلق، هذا آخر ما أتذكره، على الأغلب منحوني حقنة المخدر عقب ذلك، ولحظتي التالية، كانت هنا، هل نجحت العملية، هل سأرى زوجي وأبنائي من جديد؟

ثم أخذت تبكي دون ضجيج أو افتعال، محاولة ألا تحدث أي قدر من تشنجات تثير أعصابنا أكثر.

بعد هنيهة من الصمت وتوقفها عن الكلام يبدو أن رابعنا صاحب الأذن المقطوعة قرر التخلص من العجرفة والبلطجة بعدما استشعر ضعفه هنا وأنه مثلنا جميعًا لا حول له ولا قوة فقرر الكلام:

- نعم كنت في طريق عودتي من الإسكندرية، كنت في مهمة هناك، أتممتها بنجاح، أقود سيارتي بسرعة عالية نسبيًا ولكني كنت أريد العودة بأقصى سرعة، لا أدري ما الذي حدث بعد ذلك، كما قال المرأة، لحظتي التالية كانت هنا.

بقليل من خيال يمكن تصور ما حدث له، لم يتبقَّ سوى العجوز يخبرنا عن آخر ذكرى له في عالمنا وقبل أن أتوجه إليه بالسؤال أو يبادر هو بالإجابة جاءنا الصوت الذي لا شبيه أو مثيل له من جديد.

- تهانئي لكم أيها السادة، لقد مررتم من التحدي الأول، واستخدمتم أكبر قدر ممكن من الذكاء، ظافر وضرس، وإحدى الأصابع، حتى هذه الأذن، كلها أمور يمكن الاستغناء عنها مستقبلًا، دون أن تؤثر على حياتكم في حالة استطعتم العبور من التحديات الأخرى، من الجيد استخدام عقولنا، وأرجو أن نحسن استخدامها

في المرة القادمة، اللعبة القادمة تحتاج إلى شجاعة أكثر، وجرأة اكبر، سيفتح الباب الذي في مواجهتكم بعد قليل وسيغلق ثانية إلى الأبد، عليكم العبور قبل الغلق، وإلا فأنتم في ضيافتنا حتى الموت.

ثم واصل الحديث:

- بالغرفة الأخرى هناك أربعة صناديق بانتظاركم وأربعة مفاتيح وأربعة أبواب، لكل منكم صندوقه وبداخله المفتاح، الفوز في هذه اللعبة يتطلب أن تجد المفتاح داخل الصندوق، المفتاح الذي سيخرجكم من هذه الغرفة ويفتح الباب، إن حصلت على المفتاح سيتيح لك وحدك عبور بابك الخاص، لن يُسمح بعبور أي شخص آخر معك، في هذه الجولة غير مسموح بمساعدة أحدكم الآخر، شيء أخير ينبغي توضيحه، داخل الصندوق واحد من أكثر مخاوفك ينتظرك بالداخل، عليك أن تتغلب عليه وتحصل على المفتاح، كلما أسرعت كان ذلك في صالحك، لأن الدخان بعد قليل سيتسرب إلى الغرفة وحين يملأ الغرفة لن ترى حتى كف يديك، وربما تُسجن مع أحد أكثر مخاوفك إلى الأبد، عودتك لحياتك ليست سهلة وعليك أن تثبت أنك جدير بها.

(٨)

كريم حمدي

كانوا ثلاثة وانضم إليهم رابع، تركوا الجثة مكانها خارج القبو واجتمع الأربعة على إحدى الطاولات بالغرفة التي تشبه الاستراحة، وذلك بعد أن صعدوا الطابق الثاني وكانت كل غرفة هي الأخرى موصدة يصعب فتحها، إنهم حتى لا يمتلكون الأدوات اللازمة لكسر هذه الأبواب وكشف ما تحفظه داخل هذه الغرف.

الجميع يوجه نظره نحو الرجل الذي يقارب عمره الخمسين عامًا كما خمنوا، يبدو من هيئته أنه أكبرهم سنًا، أملوا جميعًا أن يكون في جعبته إجابات واضحة، جلس أمامهم وقد بدا من لكنته ولون بشرته أنه ينتمي إلى إحدى الدول الاسكندنافية ولكنه فاجئهم بأنه روسي ذو أصول أذربيجانية، قدم لهم نفسه:

- دكتور فولكوف، لا أعرف معلكم سر وجودي هنا ولا أتذكر إلا أمورًا بعيدة مضى عليها شهر أو أكثر، كما عرفت من شاشة الهاتف أننا في الثاني من مارس، حقيقة لا أعرف على وجه التحديد من أنتم ولا أين نحن ولا السبب الغامض وراء هذا التجمع الغريب في تلك الأجواء الغامضة، ولكن كل ما أعرفه أن هذه المرأة الميتة هي مساعدتي منذ فترة لا بأس بها، ترافقني أينما ذهبت، ممرضة بارعة يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها كثيرًا، وكانت تتعامل طوال الوقت باحترافية عالية، ولا أعرف معلكم جميعا ما الذي أتى بها هنا ولا كيف ماتت، ولكن نحن مجموعة من الأطباء، أظن يمكننا على الأقل كشف ما إذا كانت الوفاة طبيعية أم لا.

فقال يورجن:

- نحن كأطباء نؤمن بالتخصص، نحن بحاجة إلى طبيب شرعي يوضح لنا سبب الوفاة.

- هذا في الظروف العادية، أما ظرف استثنائي كهذا، فعلينا أن نتعاون لنخرج بأفضل نتائج.

اتجهوا جميعًا إلى غرفة الاستراحة، جمعوا أكثر من طاولة متجاورين، ثم نقلوا الجثة إلى هذه الطاولة الجديدة الكبيرة المصنوعة من عدة طاولات متلاصقة بجوار بعضها بعضًا، بحرص وضعوها وهم يوزعون نظراتهم على جسدها الراقد أمامهم.

اقترب كريم من الرأس وهو يشير إلى العنق حيث يوجد عدد من التجمعات الدموية حول الرقبة كما لاحظوا وجود زرقة في الوجه والشفتين والأظفار وظهور بقع تارديو النزفية على الوجه، لم يكونوا بحاجة إلى أكثر من ذلك كي يتيقنوا بأنها ماتت نتيجة محاولة ناجحة لخنقها.

دارت العيون في محاجرها، لم يكن لأحدهم الجرأة لتوجيه الاتهام لشخص بعينه.

كما أن حالة فقدان الذاكرة الجماعي التي اجتاحتهم باتت أمر غير قابل للتفسير ولم يصادفها أحدهم من قبل على اختلاف تخصصاتهم.

حين لاحظ كريم أن جميعهم عاجز عن الإتيان بتفسير سارع إلى توضيح أمر كان لا بد من وضعه في الاعتبار:

- لقد كنت موضوعًا بداخل أحد التوابيت، حتى ظننت أني دفنت حيًا، أظن أن من قتل تلك السيدة هو نفسه من وضعني داخل التابوت لغرض لا أعلمه، لقد كان أمامه الوقت الكافي لقتلي، ولكنه لم يفعل لسبب ما.

- أظن أنه يجب علينا أن نجد طريقة للخروج من هذا المكان بأسرع وقت.

قالتها ليندا وهي تفرك أصابعها من فرط القلق والتوتر، فرد عليها كلينسمان:

- هذا هو أول ما فعلته منذ عاد إليّ وعيي، الباب الرئيس لهذا المكان ثابت لا يتزحزح، محكم الغلق بشكل لافت، والمنافذ أغلبها له شبابيك حديدية، وهو أمر يعير الحنق فعلًا، لكن يبدو أن مضيفينا كانت لديهم نواياهم الخاصة.

أغدق الصمت عليهم وكل منهم يحاول تنشيط ذاكرته، فجأة أمسكت ليندا بالريموت الموجود أمامها، واتجهت إلى الشاشة وهم يتبعوها كل على حسب سرعته، ثم ضغطت الزر فأضاءت الشاشة فظهر أمامهم بداخلها رجل يجلس على المكتب، رجل في العقد الخامس من عمره ذو بشرة حمراء ويكتسي رأسه بشعر أبيض كالثلج وهو بالمناسبة نفس لون لحيته الخفيفة التي تزين وجهه يرتدى عوينات ويضع بين يديه كتابًا وبدا عليه الانهماك فيما يقرأه.

تبادل الأربعة أفراد نظرات عدم الفهم، خاصة وأن المشهد لم يتغير، الكاميرا مثبتة عليه، هل هذا عرض مباشر، أم مقطع مسجل، كيف

لهم هم المحبوسون أن يراقبوا هذا الرجل؟

تنحنحت ليندا وقد لمعت في ذهنها فكرة وهى لا تعلم مقدار معقوليتها ولكنها لن تخسر شيئًا من المحاولة ورددت بالإنجليزية:

- هاللو؟

ثم كررتها بصوت أعلى وقد فهم رفقائها ما ترمي إليه وهنا كانت المفاجأة حين التفت هذا الرجل لهم ووجه بصره تجاه كاميرا تمثل تلك الشاشة التي يرمقونها في ترقب وقال بالإنجليزية:

- أهلًا ليندا، كيف حالكم جميعًا؟ لقد مضى أربع وعشرون ساعة منذ لقائنا الأخير عبر الشاشة، كما أن الحارسان أخبراني بأنكم لم تتواصلوا معهما في خلالها، أنبأوني من فضلكم، هل من جديد؟ نحن كما تعلمون ننتظر منكم الكثير.

بدت الدهشة حادة على وجوههم وهم لا يعرفون عما يتحدث هذا الرجل ولا من هو من الأساس، فتحدث الألماني الأسمر يورجن وهو يقترب من الشاشة:

- أيها السيد نحن لا نعرف بالضبط ما الذي تريده منا ولماذا تحتجزنا هنا؟

الصدمة البادية على وجه الرجل وتعبيرات وجهه لم يفسرا لهم أي شيء.

- هناك سوء فهم كبير يا عزيزي، نحن لا نعرف من أنت ونريد منك تفسيرًا، ما الذي تنتظره منا بالضبط؟ ولماذا نحن هنا؟

كانت هذه من فولكوف.

- أيها السادة هل أنتم جادون؟ لا أظن أن هذا هو الوقت والمكان المناسبين للمزاح.

هنا تدخل كريم بعصبية واضحة واندفاع ملاحظ يفهمه رفقاؤه:

- لقد وجدت نفسي داخل تابوت بداخل قبو مظلم أيها الرجل، وعثرنا على جثة كذلك في القبو وتحدثنا الآن عن المزاح، أرجوك نحن نريد إجابات، نريد أن نغادر هذا المكان على الفور.

- كيف تغادرون المكان دون إنجاز مهمتكم التي أنتم الآن بصددها؟ لستم هنا للتنزه وتغيير الجو، أنتم في هذا المكان من أجل مهمتنا التي اتفقنا عليها، وبالمناسبة لا علم لي عن أي تابوت تتحدث دكتور كريم.

لقد نجحت شرارة التوتر التي انبعثت منهم للانتقال إلى الرجل الذي كان يبدو هادئًا، وتصاعدت حدة النقاش بينهم فأدركت ليندا أن هناك حلقة مفقودة، هذا الرجل لا يبدو خاطفًا لهم، بل إنه يتحدث إليهم بكل ود. فقالت بهدوء:

- سيدي نحن لا نقصد الإهانة، جميعنا هنا على قدرٍ عالٍ من التحضر ولكن إليك الأمر، جميعنا هنا لدينا فقدان جزئي للذاكرة، لا نعلم سببه، ولا نعرف ما هي المهمة التي تتحدث عنها، لذا برجاء توضيح هذه النقاط بهدوء لأننا في حالة عصبية ونفسية لا تسمح بتضييع الوقت في انفعالات وجدالات عقيمة، وبالمناسبة أيضًا نحن محبوسون داخل هذه الغرفة، باقي الغرف مغلقة وليس

لدينا مفتاحها، نحن حتى لا نعلم إذا كان هناك آخرون معنا أم لا محجوزون داخل هذه الغرف المغلقة، أرجو منك تفهم موقفنا!

فأجاب الرجل عبر الشاشة:

- حسنًا لا شيء يبدو هذه الليلة منطقيًا ولكني سأجيب بإيجاز عن أسئلتكم، كما أني لا أفهم سر هذا الفقدان الجماعي للذاكرة ولكن في خلال دقائق سيكون لديكم فريق الحراسة المكلف برعايتكم وإحضار المؤن إليكم وكافة متطلباتكم، هم لديهم نسخة من كافة المفاتيح وسيساعدونكم على ذلك، تتحدثون عن جثة، هذا أمر مريع، أنتم أطباء وتعرفون ما معنى جثة، كنتم طاقمًا مكونًا من خمسة أفراد، الآن أراكم جميعًا أمامي، عدا أوليفيا، هل الجثة لامرأة؟

فأجاب كريم:

- نعم لامرأة.

- هذا خبر مؤسف، نحن لا نحتجزكم، أنتم مجموعة من أفضل الأطباء كيف نخطفكم ولماذا؟ أنتم هنا من أجل مهمة، يمكن القول إنها مهمة سرية بأجر سخي، أظن أني بهذا قد أجبت على أغلب أسئلتكم، في الغد سأحضر إليكم للمناقشة بشأن ما حدث الليلة، أمل أن تستعيدوا ذاكرتكم المفقودة في الصباح، وبالنسبة لي أتمنى أن تكون هذه الليلة مجرد كابوس ثقيل، الرجاء اطردوا من رؤوسكم فكرة أنكم مخطوفون! في خلال دقائق سيكون بين يديكم رجلان يقيمان في مبنى مجاور لكما سيعيدان ترتيب الأوضاع قدر المستطاع.

امتزجت على وجوههم بعض علامات الارتياح مع بعض علامات الذهول، حديثه لم يصادف أي ذكرى في رأس أحدهم، هذا الأمر عجز الرجل عن فهمه، ولا يمكن توجيه اللوم إلى شخص واحد بسبب فقدان مجموعة من الأشخاص لذاكرتهم، عقب الانتهاء من حديثه وجهوا إليه شكرًا مقتضبًا، لم يمر خمس دقائق حتى سمعوا صوت باب كبير يُفتح في الخارج، وهناك خطوات مسرعة تقترب من أحد الأبواب، ثم تكشف لهم رجلان ضخما الجثة، يرتديان زوجين من البدل رمادية اللون وكرافتة سوداء، هموا بفتح كل الأبواب، ثم صعدوا إلى الطابق العلوي وقاموا بالشيء ذاته، سلموا كل منهم مفتاح غرفته الخاصة وعرفوهم أماكنها، ثم اقترب الرجلان من الجثة وقاما على الفور بنقلها إلى أحد الغرف البعيدة غير المستخدمة في الطابق العلوى حتى يتم البت في مصيرها في الصباح، انطلق طاقم الأطباء كل إلى غرفته باستثناء كريم الذي سأل عن مكان الحمام، إنه بحاجة ماسة للاستحمام، ما زال لا يصدق بأنه منذ ساعتين فقط كان يواجه خطر الموت داخل تابوت وتراوده فكرة وفاة زوجته بجواره، هو الآن لا شك في حال أفضل، زوجته بخير لكنه يحتاج إلى مجهود كبير من أجل نسيان عبء هذه الليلة.

(٩)

علاء عبد العزيز

عبرنا الباب دفعة واحدة ليغلق وراءنا إلى الأبد كما قيل لنا، هذه الغرفة كانت أقل قليلًا من سابقتيها في المساحة وإضاءتها أقل كثيرًا من الغرفة السابقة، الجدران مظلمة لا تعرف لها لون، ولكنك على أي حال ترى بوضوح خاصة في مركز الغرفة التي لا تزيد مساحتها عن ثلاثين مترًا، كان هناك منضدة طويلة معدنية تقف بالعرض في المواجهة، فوق المنضدة كان هناك أربعة صناديق حديدية سوداء اللون مغلقة بإحكام عبر قفل متين من الصلب كما يبدو، يعلو كل صندوق مفتاح صغير الحجم يدعونا لبدء المغامرة.

وقفنا أمام الصناديق مذهولين، جميعنا يتساءل بداخله سؤالًا غير منطوق ما الذي يحتويه هذا الصندوق؟

مددت يدي حاولت حمل الصندوق كان ثقيلًا للغاية، لا أدري هل كان ذلك بفضل المعدن أم بفضل ما يحتويه والذي هو بلا شك مخيف كفاية كي يجعل عملية فتح الصندوق عملية محفوفة بالمخاطر.

وقفنا نحن الأربعة والتردد خامسنا، لا نعرف من منا سيبادر بفتح صندوقه، الأمر مخيف حقًا، وأنت تعلم أن كابوسًا بانتظارك بالداخل، الصمت يغلف وقفتنا ويمنح هواجسنا همسات لها فحيح أكاد أسمعه.

هنا قرر مقطوع الأذن طرح سؤال لم يخطر ببالنا:

- ماذا لو أبدلنا أماكنا واختار كل منا صندوقًا آخر غير هذا الذي

نقف أمامه، ربما ما يخيفك لا يخيفني ويمكنني التعامل معه؟

فأجابته المرأة:

- ولكن الصوت أخبرنا بأنه لا يجوز مساعدة أحدنا الآخر في هذه اللعبة؟

ولكني تدخلت قائلًا:

- نعم بعد فتح الصناديق، لا يجوز معاونة أحدنا للآخر، ولكن قبل ذلك، يمكننا أن نجرب، لا أحد مجبر على فتح صندوق محدد.

كانت فكرته جديرة بالتدبر، أومأنا جميعا برؤوسنا علامة على الموافقة، تبادلنا الترتيب.

فصرت أقف أمام الصندوق الأول بجانبي يقف ضخم الجثة بجانبه المرأة و أخيرًا العجوز.

بعدما اعتدلنا جميعًا وأمسكنا بالمفاتيح في طريقنا للفتح، بادر ضخم الجثة بفتح صندوقه بسرعة وكأنه سئم الانتظار، بأيادٍ مرتعشة حاول إدخال المفتاح في القفل، كان مرتبكًا للغاية متوترًا يتعامل بعصبية مفرطة، حتى نجح أخيرًا وسمعنا دورة المفتاح في القفل، ثم رفع غطاء الصندوق، ولأنه يقف بجانبي مباشرة فقد شهقنا معًا في نفس واحد حين باغتنا المنظر.

الصندوق مظلم بالداخل، لكن عينك تلمح أشياء تتحرك لا تخطئها العين، مجموعة مختلفة الحجم واللون والشكل من الثعابين تتراقص بالداخل، منظرها يثير الفزع بما يكفي، فأغلق الضخم الصندوق مرة ثانية وجثا على ركبتيه من الصدمة، منظره وهو

أكثرنا إقدامًا ضاعف في نفوسنا الرهبة التي ملأت صدورنا وفاضت على باقي حواسنا.

المشهد لا يحتاج إلى تفسير، هذا العملاق يخاف الثعابين ويصير أمامها كالأطفال.

لا أظن أن هذه الثعابين لها لدغات قاتلة ولكن لا يجرؤ أحدنا على لمسها أصلًا.

كان أطولها يصل إلى متر تقريبًا، وجلدها يلمع ويوحي مظهره بنعومته، لا أملك خوفًا خاصًا منها لو آمنت شرها ولكني لن أفضل لمسها على أي حال. إنه يحتاج إلى استجماع شجاعته ليفعلها.

بعدها تهيأ العجوز لفتح صندوقه ببطء وكأنه مقبل على الموت، ثم رفع الغطاء، فشهقت المرأة هذه المرة من الفزع بينما رائحة نتنة أزكمت أنوفنا فجأة، مددت رأسي كي أتمكن من الرؤية بشكل أوضح، كان هناك جثة قطة سوداء اللون متعفنة بالداخل. أغمض العجوز عينه وهو يتقزز اشمئزازًا من منظر الجثة المتفسخة ورائحتها التي لا تطاق. ثم أغلق الصندوق ثانية هو الآخر وهو يقاوم رغبة كاسحة في التقيؤ.

لم يتبقَّ سواي أنا والمرأة، نظرت إلي نظرة آمرة تقول دون كلمات:

- هيا تقدم، بالتأكيد لن أكون أكثر شجاعة منك ولا حتى سأتظاهر بذلك، مهما بلغ خوفك، فلا تنسَ كونك رجلًا.

رسالتها الصامتة لا تحتاج إلى مترجم ومعها الحق، هذا دوري بلا شك، على مهلٍ عالجت القفل، لأرفع الغطاء ببطء، عيني تلمح

شيئًا ما كبير الحجم بالداخل، إنه حيوان كبير، الإضاءة الضعيفة لا تساعد أبدًا، لا بد من رفع الغطاء بالكامل، ففعلتها على الفور لأجد آخر ما أتوقعه، فأر بحجم أرنب كبير يتجهز ليهب في وجهي، أقفلت الصندوق بسرعة من هول المفاجأة، أنا أخشى الفئران الصغيرة تلك التي يمكن أن تركلها بقدمك، ذيلها وحده يثير في نفسي الاشمئزاز، أتذكر ذات مرة استنجدت أمي بي لمساعدتها في طرد أحد الفئران الصغيرة الذي تسلل خلسة إلى المطبخ، ولكني غادرت المنزل كاملًا حين علمت وتركتها تضرب أخماسًا في أسداس عن الرجال في بطاقة الهوية فقط، هذا تأثير فأر صغير، ما بالك بهذا الحجم الذي لا يقل عن ٤ كيلوجرامات، لم أر هذا الحجم في حياتي من أين أتوا به؟ لمحت شيئًا يلمع بالداخل ولم أتبينه هل هو المفتاح؟ من جديد أعدت فتح الصندوق والفأر الرمادي ينظر لي في غيظ جراء غلقي للصندوق في المرة السابقة وشاربه طويل الشعرات يتراقص ببطء، بجانبه وجدت سكينًا ضخمًا، بينما باقي الصندوق فارغ تمامًا، فتشت بعيني لكني لم ألمح المفتاح الذي سيمكنني من الخروج من هذه الغرفة، وقف الفأر على قدميه الخلفيتين ويمد يديه الأماميتين ليستند بهما على حافة الصندوق بشكل مباغت أفزعني جعلني أتراجع إلى الوراء ولكني أقفلت الصندوق بسرعة قبلها، هنا انتبهت للعبة القاسية التي تمارس علينا، المفتاح لا وجود له في أرضية الصندوق، المفتاح داخل جسد الفأر! والسكين ذات المقبض الأسود الموجودة في الصندوق هي من أجل قتله وإخراج المفتاح من بطنه! كدت أتقيأ معدتي وأنا أتصور ما هو مطلوب مني. أظن أن الأمر كذلك بالنسبة إلى الصندوقين الآخرين، المفتاح داخل جثة

القطة المتعفنة وعلى الأغلب داخل بطن أحد الثعابين، نظرت جانبي فوجدت المرأة تضع كلتا يديها على وجهها تحاول منعها من الصراخ بينما الدموع تنهمر بغزارة من عينيها، بينما الرجلان الآخران ما زالا يعانيان الصدمة، لم يتبقَّ سوى المرأة وصندوقها، كانت ترتجف كفراشة تحوم حول الضوء، لم استطع طمأنتها، ما زلت مشوشًا من جراء ما ينتظرني، ولم أملك الفضول حتى لأعرف ما يحتويه صندوقها، وضعت يدي على صندوقي وأنا أفكر كيف سأقتل هذا اللعين بالداخل، لا أطيق رؤيته فكيف عليّ لمسه بل وقتله.

وسط تفكيري نهض الضخم من جديد وفتح الصندوق كانت الثعابين لا تكف عن الحركة بالداخل، لحسن الحظ أنها لم تحاول الخروج من الصندوق بعد، لو أن هناك كلمة تصف هذه الثعابين فهي نشطة، لا تتوقف عن الحركة، جال الرجل ببصره داخل الصندوق وهو يمعن النظر، ولكن لا أثر للمفتاح، فأدركت صدق توقعي، مطلوب منه تقطيعها حتى يجد المفتاح مستقرًا بجسد أحدهم، مهمته صعبة لا شك، أمامي فأر واحد أهابه كأنه ذئب، بينما هو لديه مجموعة من الثعابين وليس حتى ثعبانًا واحدًا، يبدو أن العجوز تمالك نفسه، لأنه فتح الصندوق من جديد، وأخرج جثة القطة بأطراف أصابعه، الرائحة لا تطاق وهو يحملها هكذا، ثم ألقاها على الأرض بسرعة، ابتعدنا جميعًا عنه ولكنه قرر الانزواء بأحد الأركان وأخرج سكينًا مشابها لذلك الموجود في صندوقي، أخذ يقطع في الجثة ويدس سكينه فيها وعلى وجه أعتى علامات القرف، بين الحين والآخر يقف حائرًا لأن يده لا تطاوعه على مواصلة العمل، ورأيته وقد بدأ يغمض عينه في أثناء العمل، لا أعرف كيف هو شعوره ولكننا جميعًا

مضطرون.

أدركت المرأة صعوبة موقفها فقامت بفتح الصندوق وما إن رفعت غطاءه حتى صم آذاننا صراخها، وغلى الدم في عروقنا جميعًا، ولكن نظرة واحدة للصندوق تكفل بإفهامنا، كان الصندوق مليء بالحشرات، أو لنكن أكثر دقة كان مليئًا بالصراصير، وللحق هي ليست كأي صراصير رأيتها من قبل في حياتك، كان أصغرها يزيد ثلاثة أضعاف عن حجم أكبر صرصار عادي، تخيل صندوقًا مليئًا بهذه الكائنات! ليس هذا فحسب بل كانت الصراصير أكثر حماسًا إذ بادرت بالخروج من الصندوق لتنتشر في الغرفة، دهست اثنين منهم وكذلك البلطجي وأخذ العجوز يطارد بعضهم حتى امتلأت الغرفة بجثثهم وصراخ المرأة الغير منقطع أدخلنا في كابوس جديد، فتح الضخم صندوقه ومد يده داخل الصندوق وهو يصرخ، فرأيت بعيني الثعابين تزحف على يده بينما هو يُخرج بلطة من الداخل كانت أكبر حجمًا من السكاكين الأخرى وأخذ ينهال بالضرب على الثعابين يصيب من يصيب، ويقطع من يقطع، المشهد مجنون ولكن عليك تصور امرأة تواصل الصراخ ثم أخذت تتراجع نحو الحائط خوفًا من الحشرات، ورجل بلغ الجنون به مبلغه، يقاوم خوفه، ورائحة قط ميت تغمر المكان في سيمفونية مخيفة تصيبك بالتوتر، كل ذلك ولم ينجح أحدنا في الوصول إلى مفتاحه بعد.

مددتُ يدي بخفة فأغلقت صندوق المرأة ليتوقف هذا الغزو الحشري، وأخذت أقتل ما تبقى منهم بالخارج واحدًا وراء الآخر ليس بغرض مساعدتها ولكن كي ينتهي صراخها وكي أستطيع التركيز في مهمتي، الرجلان الآخران يحرزان تقدمًا لا باس به، عدد

من الثعابين متعددة الألوان والأطوال انقسم عدة أجزاء وما زال هناك عدد آخر يتحرك بسرعة أكبر بحثًا عن مهرب، في أثناء ذلك وجدت العجوز يده ملطخة بأحشاء القطة ولكنه يمسك مفتاحًا بيده، لقد وجد ضالته، وإذا به يقف أمام الباب ليعبر إلى الجهة الأخرى، لقد فعلها أحدنا وأوسع لنا مكانًا كي ننجز مهمتنا، كذلك الضخم قتل كل الثعابين وتحولت إلى أشلاء متقطعة، لقد اجتاز المرحلة الأصعب وما بقي له أكثر يسرًا، عندها تحمست لأفتح صندوقي من جديد، الفأر قفز إلى الخارج كأنه مل الانتظار فابتعدت لا إراديًا وأنا أتعثر في خطوتي ليخرج الفأر من الصندوق ويقف على المنضدة يتلفت إلينا، فقام الضخم بتهويشه ليفر الفأر من أمامه ويقفز على الأرض بينما المرأة جعلت المشهد هستيريًا بصراخها الدائم الذي لا سبيل لإيقافه، هذه المرأة لا تواجه كابوسًا واحدًا داخل صندوقها بل تواجه أربعة كوابيس في صناديقنا جميعًا، نهضت على الفور فأمسكت بالسكين، ملمسه جعلني أقشعر من فكرة أن الفأر لامسه وتحرك فوقه، ماذا لو مت الآن من الاشمئزاز وانتهى كل ذلك؟

لا أظن ذلك مستحيلًا، ولكن الموت لا يأتي حين تشتهيه هذه قاعدة معروفة.

خاطرة سريعة مرت في ذهني، لو متُّ الآن حتما سأستريح من هذا الشقاء، كيف لا يكون في الموت راحتنا بعد كل هذه المعاناة؟ دائما كانت تجول بخاطري فكرة أننا نستحق مكافأة فورية عقب مغادرتنا الحياة لأننا تحملنا هذا الكم من العناء. سواء هنا أو في عالمنا.

يبدو أن الضخم أنجز مهمته لأنه وقف وهو يصرخ فرحًا أمام الباب بعد أن حصل على مفتاحه بعدما جعل أكبر قطعة من جسم ثعبان لا تتجاوز طول كف اليد، لم يعد سواي أنا والمرأة والفأر يراقبنا في استمتاع، رأيت الدخان يتسرب من أحد أركان الغرفة، دخان أبيض سريع التطاير يحسن الانتشار، غزا الغرفة بحماس وفي طريقه لجعل الأمر مستحيلًا، لو ملأ الدخان الغرفة سنبقى فيها إلى الأبد هذا لو تركنا أحياء، كيف ستقتل من لا تراه، أمسكت بالسكين ذات النصل الحاد في يد والبلطة في يد أخرى، وأخذت اقترب من الفأر بينما هو لا يكف عن الهرولة، إما اقتله الآن وإما نبقى معًا إلى الأبد، لا يعلم الفأر هو كم أفعل هذا وأنا مرعوب، أما المرأة فقد صعدت على المنضدة بعد أن ألقت بجثث الحشرات والثعابين على الأرض لكي تفسح لهذه المطاردة المثيرة للغثيان كي تنتهي بأسرع ما يكون، بينما هي تقف بجوار كابوسها المجثم في شكل صندوق.

اقتربت منه أكثر وأنا أحاصره بكلتا يدي وقدمي حتى باتت المسافة قريبة للغاية فهويت بالبلطة ولكنه فر أسفل قدمي ليصيبني بالذعر ويذهب إلى الجهة الأخرى، استمر الحال هكذا لفترة لا بأس بها، حتى باتت الرؤية ضبابية بشكل خفيف كأنك تقف في حمام مملوء بالبخار.

مزيج من التعب والخوف يهدان جسدي، ولكن خوفه مني منحني شجاعة إضافية، بعد مرور كثير من الوقت وبعد عدد غير قليل من الضربات الفاشلة، تمكنت أخيرًا من إصابته بالبلطة، ليخر جثة هامدة وهو يزفر أنفاسه الأخيرة، الباقي من المهمة يتعلق بقدرتك على منع نفسك من التقيؤ، يتعلق بنجاحك بأن تلمس أكثر الأشياء التي

لا تطيق رؤيتها، ولكن كهدية من وحي غير مرئي ولا منتظر، خلعت قميصي الذي أرتديه ولففته حول كفي، كي لا ألمس هذا الشيء الكريه مباشرةً، إلى حد ما جعل ذلك الأمور أسهل، ولكني أعمل ببطء رغم كل شيء، أتجاوز مخاوفي وقرفي، بصعوبة بالغة وصلت إلى المفتاح الغارق في دماء وإفرازات ما بداخل جثة الفأر، حاولت تنظيفه قدر المستطاع بقماش قميصي، المرأة تنظر لي بنوع بائس من الحسد ليس هذا مكانه أو وقته. باتت الرؤية صعبة حقًّا.

اتجهت إلى أحد الأبواب، وأنا لا أعرف أيهم يخصني، ولكن ما فهمته هنا، أن أي صندوق ستختاره ستجد أكثر ما يخيفك بداخله، لم يغير ترتيبنا شيئًا، بل لقد توجهت بنفسي إلى الصندوق الذي يحوي أحد أكثر الأشياء التي تسبب لي الخوف، كلنا فعلنا ذلك، وفي اعتقادي أن الباب الذي سأختاره سيفتح طوعًا ما دمت قد أنجزت المهمة المطلوبة، نظرت ورائي فوجدت المرأة تنظر لي بعيون تملأها الرجاء، الرؤية باتت بالفعل صعبة وتزداد صعوبة مع انتشار الدخان أكثر مع كل دقيقة تمر، لن أستطيع مساعدتها، هي تعرف مثلي ذلك وبقاؤنا معًا لن يقدم أو يؤخر، عليها اجتياز اختبارها بنفسها، نعم لقد تأخرت كثيرًا ولكن لم يفت الوقت بعد، أشرت إليها بسبابتي نحو جانب رأسي كناية عن العقل، عليها أن تجد طريقة ذكية تعينها على إتمام الأمر بسرعة، ولكن نشيجها علا، فانفطر قلبي أكثر، أولجت المفتاح في الباب وأنا أمني نفسي أن تجد طريقة لتلحق بي، لتنتهي مرحلة عسيرة هنا ولا أعلم ما ينتظرني بعد هذا الباب.

(١٠)

مروان خليل رجل الأعمال

أنا أموت ببطء، وأذبح بسكين بارد، عسير أن تشاهد نفسك والحياة تتفلت منك رغمًا عنك، ولكن حياة بلا (هدير) هي حياة ماسخة يهون أمامها الموت لو أنه يعيدها إليّ ويجمعني بها، لو أنها ماتت فما أحلى الرحيل!

لكن شعور ما بداخلي يراودني، ابنتي لا تزال حية، إنها في مكان ما على هذه الأرض وحيدة تعاني تنتظر الخلاص كما انتظره أنا بالضبط.

رجال الشرطة يتوقعون مقتلها على يد السائق الذي يدعى (علاء) يقولون ذلك أمامي تلميحًا ومراعاة لشعوري، أما في ظهري وعلى صفحات الأخبار فلا مواربة يقال ذلك. لو أنها ماتت أين جثتها؟ (علاء) يصر على إنكار أي علاقة له باختفائها ولكنه كما علمت هو متهم في قضية قتل أخرى، قاتل كهذا أقدم على جريمة فما المانع لقيامه بأخرى؟

طلبت من المحامي الشخصي لي ترتيب زيارة لهذا المدعو (علاء)، عليّ أن أنظر في عينيه سأعرف منهما لأي درجة يمكنه الخداع، مدى صدقه سألتمسه بنفسي عن قرب، اندهش (ياسين) لمطلبي حين علم، ما زال صغير السن لم يختبر بعد مشاعر الأبوة، صحيح أن المأساة حاضرة في عينيه، ولكنه لا يعرف مقدار ما يمكنني فعله والإقدام عليه في سبيل الحصول على معلومة واحدة صريحة.

ذات صباح وبينما الشمس تتابع سيرها المعتاد قي طريق السماء، كنت أتلمس خطاي نحو لقاء (علاء).

قلبي يحدثني وسط صخبه المفاجئ وكأنه عاد إلى الحياة بعد غياب بأن هذه الدقائق ستكون حاسمة، كيف لا وأنا سألتقي بأخر من نعرف أنه رأى هدير قبل الاختفاء، بعث في هذا اللقاء المنتظر حماسًا ورهبة، صحيح أنه مُدان، صحيح أنه كاذب، لكن أظن أن بوسعي الحصول على إجابة ما ولو تلميحًا ولكني سأفهم. مهما بدت قسوتها لكنها سترحمني من هوس الظنون وقسوة المصائر المحتملة.

في العاشرة صباحًا خطت قدماي مبنى السجن بصحبة المحامي، استقبلنا رائد شرطة ودودًا بدا أنه يتفهم طبيعة الزيارة وصعوبة الموقف قام بتوصيلنا نحو مكتب مدير السجن الذي قابلني بحفاوة واضحة ولولا صعوبة الموقف لاختلف الأمر تمامًا.

حاول التطرق إلى الموضوع والتحدث بشأن (علاء) لمنحي نبذة عن سلوكه في السجن:

- هادئًا لأقصى درجة ينأى بنفسه عن المشكلات ويحاول تجنب الجميع، لا أدري مقدار الفائدة التي يمكنه تقديمها لك يا مروان بك ولكن خذ حذرك! أولًا وأخيرًا هو مجرم، في أحسن الأحوال ارتكب جريمة قتل واحدة.

ابتلعت ريقي من ملاحظته القاسية التي تلمح لمقتل (هدير).

تحدث المحامي بالنيابة عني، لم أكن في أي مزاج يسمح لي بتبادل الحديث مع رجال الشرطة:

- نقدر لك وقتك ومجهودك يا افندم في تدبير هذا اللقاء، نثق أن الأمر سيمر بسلام ما دمنا في عناية سيادتكم.

ثم تم اصطحابنا لواحدة من القاعات تبدو مجهزة لمثل هذه الزيارات، قاعة واسعة فسيحة، يتسلل ضوء النهار إليها من الشبابيك الزجاجية المواجهة للمدخل بعرض القاعة، تنتشر فيها طاولات بيضاء معدنية، هناك أمام كل واحدة منها كرسيان قوائمهم من المعدن بينما المسند والمقعد من الخشب، جلست على إحداها وشد المحامي كرسيًا ليجلس عليه وترك واحدًا للمتهم المنتظر، رمقت السقف فوجدته مزود بعدد من المراوح الساكنة، لم يكن النهار ساخنًا لاستخدامها، ما زلنا في بدايات الربيع والجو لطيف نوعًا.

بينما وقف مدير السجن يتحدث مع أحد الضباط المرافقين بزيهما الرسمي حتى وصل علاء الذي بدا نحيلًا للغاية عظام وجهه بارزة ورأسه حليق، اقتاده الحارس ناحيتنا، كانت يداه مقيدتين إلى الأمام، بدا عليه عدم الفهم فهو لم يتعرف عليّ بعد، اقترب المدير منا وهو يتظاهر بالمودة وقال

- أمامك ١٥ دقيقة مروان بك، في حالة وجود أمر ما فالرائد (محسن) رهن إشارة منك وسيقوم بعمل اللازم.

فسألته على الفور:

- هل سيرافقنا الرائد (محسن) في أثناء الزيارة؟

- نعم مروان بك.

فقمت على الفور وأن أتنحى به على انفراد بعيدًا عن كافة

الحاضرين وقلت هامسًا:

- سأكون شاكرًا لسيادتك لو سمحت لي الانفراد وحدي مع السجين.

نظر في عيني مباشرة وهو يتبين جدية ما قلته. فأضفت:

- الولد مقيد أمامي ورجالك سيكونون بالقرب منا، وبالطبع لن أتردد في الاستعانة بهم، أرجوك أنا جاد في ذلك، أريد الحديث معه على انفراد، وهذا جميل لن أنساه لك مدى حياتي.

لمح في عيني إصرارًا لا يتزعزع، وبصرث في عينيه موانع روتينية واحتياطات أمنية مبالغ فيها لم يرد التخلي عنها رغم ذلك فكررت طلبي:

- أرجوك.

أصبح أكثر ليّنًا عقب كلمتي الأخيرة.

ثم انسحب من المكان وأشار إلى الضابط والرقيب بتتبعه ثم وجدته يعطي لهم بعض التعليمات، فرأيتهم يتبعونه ثم وقفوا عند الباب يرمقوننا من بعيد، كان المسافة بيننا تصل إلى عشرة أمتار أو يزيد قليلًا، لم تكن تلك بالمسافة التي تسمح لهم بسماع ما يدور هنا ولكنها توفر لهم مساحة كافية من الرؤية، نهض المحامي وهو يتجه إلى حيث يقف رجال الحراسة، لنبقى أنا وعلاء في مواجهة بعضنا بعضًا، كان يراقب ما يدور في لا مبالاة، من الوهلة الأولى أدركت أنه لا يشكل خطرًا عليّ تحديدًا في هذا التوقيت، ثم قدمت نفسي له:

- أنا والد (هدير)، أعرف أنك آخر من شاهدها، أقوالك في

التحقيقات أتفهم الدافع وراءها، ولكن هنا يجلس أمامك أب، صحيح أني لديّ ما يكفي من أموال ونفوذ ولكن جميعها لا يعني شيئًا لو لم استطع الحفاظ على أبنائي، لو أنك قتلتها أخبرني وأعدك أني سأسلمك فقط لحبل المشنقة، وأنت لا تعرف كم أن هذا رحيم بك، لأني لو استطعت قتلك ألف مرة فلن أتردد، لو كتب لي العيش ألف عام قادمة، ستكون لذتي الوحيدة فيها تعذيبك، لذا أريد أن أعرف هل ماتت؟ أنت ستريحني من الظنون والهواجس والآمال الزائفة وأنا سأمنحك ميتة سريعة متوقعة، هذه صفقة عادلة.

لم يبدِ أي رد فعل تجاه كلماتي، إنه يتمتع بقدرٍ عالٍ من البرود والهدوء فتابعث حديثي:

- يمكن للتحقيقات أن تستمر شهورًا، يمكن للحقيقة أن تظهر في أي وقت ولكن تأكد لو علمت أنك أزهقت روحها ولم تخبرني الآن، فسأجعلك تتمنى الموت ولن تدركه، أموالي كافة سأسخرها من أجل هدف واحد، هو إبقائك حيًا تتلوى من الألم أمام عيني، لذا فرصتك الوحيدة الآن.

لمستُ اهتمامًا في عينيه لما أقول وتغيرًا في ملامحه، لا أعرف هل كلماتي هي صاحبة الفضل في تغير موقفه أم أنه كان ينتظر لقائي كما كنت أنتظره.

ولكنه تحدث أخيرًا:

- ابنتك حية، هذا هو الخبر السار في الأمر.

تهلل وجهي، كدت من فرط السعادة أن أنهض وأحتضنه لقد توارى

الأمل لديّ في بقائها حية وها هو يعود بكامل سطوته من جديد وقلبي ينتفض من السعادة.

- أين هي؟

قلتها بلهفة حقيقية ولكنه صمت.

- سأدفع لك ما تريد ولكن أخبرني أين هي؟

فرد بسخرية:

- كيف سيفيدني مالك وأنا هنا؟

- لو أرشدت عن مكانها سيخرجونك من هنا، لا داعي عندها لسجنك.

- لن يخرجوني من هنا، الإعدام أو المؤبد على أقل تقدير هو ما ينتظرني، لذا أموال الدنيا كلها لن تنفعني، أفهمت؟

- هل قتلت صديقك هذا الذي يُدعى سيد؟

صمت، ففهمت أنه فعل.

- وما الذي يفيدك من حرماني منها ما دامت حية؟

- الصفقة، لقد انتظرتك طويلًا، الشرطة لن تتمكن من إعادة ابنتك لك، أنا سأفعل ولكني لن أفعل وأنا وراء القضبان، أموالك لن تنفعني وأنا هنا ولكن يمكنها إخراجي من هنا.

- هل تريد مني توكيل محامٍ للدفاع عنك وتبرئتك من الجريمتين، جريمة اختطاف ابنتي وجريمة قتلك لصديقك؟

- لقد طلبت أن أخرج من هنا، ولم أطلب محاميًا، ظننتك أذكى من هذا.

ابتلعث إهانته مضطرًا، لقد فهمت عرضه أخيرًا، يريد مني تهريبه وليس تبرئته، إنه يعرف أن القانون لن يقف في صفه ولن يرحمه، أما أنا فيمكنني ذلك. فسألته هامسًا بغيظ:

- هل أنا محق فيما فهمت؟ هل تظن أني قادر على ذلك، كيف سأفعلها حتى لو أردت؟

- لا أعرف، ولكن لو أنك لن تستطيع القيام بأمر كهذا مع كل ما تملك ومع رغبتك في استعادة ابنتك فمن يستطيع؟ كل غالٍ له ثمن، يبقى غاليًا ولكن يمكن دفعه، تصور معي هذه ابنتك.

ثم أكمل:

- وأنا وحدي من يعرف مكانها، يمكن لرجال الشرطة أن يبحثوا طوال عمرك ولن يعثروا عليها.

- ماذا لو كنت تكذب؟

- يحق لك وقتها أن تفعل ما تريد.

- هل هي بأمان؟

- نعم إلى الحد الذي يجعلها تعيش حتى أخرج من هنا وأحررها بنفسي، لا شيء سوى ذلك.

ثم أضاف بلهجة تحذيرية جادة لا تخلو من رجاء:

- أي وشاية لما دار بيننا الآن، لن تكون في صالحي أو صالحك أو

صالح ابنتك.

انتهى لقائي به، كان شعورًا غريبًا لا يمكن وصفه، ولكن يمكن اختزاله في سعادتي بحقيقة كونها حية، أنا أصدقه في ذلك ولا أدري السبب، ولكن رغم فرحتي أفكر كيف يمكنني القيام بما يريد، إنه السبيل الوحيد لعودة هدير، كيف علي أنا أسلكه؟

في مساء اليوم جمعتني جلسة بالمحامي وطرحت عليه سؤالًا:

- هل يمكن خروج (علاء) بأي ضمان أو نظير أي كفالة يمكن سدادها؟

- هل تريد له الخروج؟

- من فضلك أجبني دون طرح أسئلة!

اتسعت عيناه اندهاشًا هو رجل قانون يتمتع بسمعة طيبة وشهرة واسعة وكفاءة مشهودة لذا أثق بإجابته تمامًا. فأجاب بحسم:

- لا يمكن، أي اتهام على ذمة جرائم قتل لا يمكن معه إخلاء سبيل المتهم، وفي حالتنا هناك جنايتين قتل وخطف مما يجعل ذلك مستحيلًا.

لا بد أن (علاء) يعرف ذلك بنفسه، أنه لا سبيل إلى خروجه سوى بطريقة مجنونة غير مشروعة.

- في رأيك ما العقاب الذي ينتظره، لو أنك شخصيًا كلفت بالدفاع عنه؟

كادت عيناه أن تغادرا محجريهما عقب طرح تساؤلي الأخير

فهززت رأسي أن يتجاوز ذلك مكررًا:

- لا أسئلة من فضلك.

- في حال أنه الفاعل والتعبت من ذلك لدى المحكمة، سأكون محظوظًا لو حصل على المؤبد، إنه لا يعاني أي أمراض نفسية ولا يوجد أي دوافع انتقامية للقتل تبرر تخفيف الحكم، لقد كانا صديقين بجانب جريمة الخطف والتي قد يصاحبها جريمة قتل جديدة، إن الإعدام في انتظاره، والباقي من عمره قليل، قليل للغاية.

وقفت كلمته الأخيرة في حلقي، لو مات فلا سبيل للوصول إلى (هدير)، سيموت معه سرها، والله وحده يعلم كيف تحيا الآن، أو من هم سجانوها وكيف يعاملونها، هذا الحقير يجعلني أحرص على سلامته، بينما أنا أجهل كيف تحيا ابنتي.

سأفعل ما يلزم لتحريره بأي طريقة ممكنة، سأفعل من أجل (هدير).

(١١)

ضياء السلاموني

طبيب أمراض القلب الخاص برجل الأعمال (مروان خليل).

حين فاتحني (مروان خليل) في الأمر لم يكن يمزح، لم يكن به مس من جنون، كان في كامل قواه العقلية، ولكنى لم أعتد منه على تلك الشطحات. حين لمح في وجهي نظرات عدم التصديق قصّ عليّ القصة كاملة، وقتها فقط التمست له العذر.

كيف يتسنى له إخراج (علاء) من السجن؟ صحيح أن (مروان) رجل ثري لكنه ليس زعيم مافيا يقتحم السجون لتحرير المحبوسين، ولا وسيلة بالقانون لإخراج المختطف فما العمل إذن؟

شحذ فكره في الأمر وتوصل إلى أن الطب قد يعاونه في هذه المهمة العسيرة الشاقة، ولكن يبقى السؤال كيف يساعده الطب في ذلك؟

كيف نسخر هذا العلم لتحقيق مهمة بهذه الصعوبة؟

حينها بدأت تتولد أفكارنا معًا، كان يُعمل خياله على نحو غير مسبوق وبطريقة هوليودية، العجيب والمثير في الأمر أني وجدت نفسي أتفاعل مع أفكاره بدافع من الإشفاق والتعاطف معه، إنه لا يريد سوى إنقاذ ابنته.

وبعد أن كان عقلي رافضًا للأمر برمته واعتبرته كاملًا شطحة لا يمكنها ملامسة الواقع، وجدت أنه ليس بهذه الاستحالة التي

استوقفتني في البداية عن المضي قدمًا في أي تفكير عقلاني يفيد هذا الرجل.

الأمر عسير لكن ليس مستحيل، هناك طريقة واحدة يمكن معها إخراج المتهم من السجن وهي المرض، هذا سينقله إلى المستشفى الملحقة بالسجن، كيف يغادر مستشفى السجن عقب ذلك؟

هذه عملية معقدة، لا يمكن الخروج من مستشفى السجن إلا بموت المتهم المريض، يجب أن يموت المدعو (علاء)، أو على الأقل تزييف موته.

هنا التمعت عينا (مروان) على الفور ففهمت أن هذا ما كان يرمي إليه من البداية.

فأخذت أفكر، كيف نُزيف موته؟ هل يمكن تقديم الرشوة لأطباء السجن؟ مستحيل لو تم اكتشاف الأمر سيتحولون من أطباء إلى متهمين، هذه أمور لا تقبل أنصاف الحلول كما أنك لن تضمن ولاءهم أو ثباتهم جميعًا في حال فتح تحقيق موسع، إذن السبيل الوحيد أن يقتنعوا هم أنفسهم بموته. عندها سيضعونه في ثلاجة المستشفى، وبعدها يمكن التصرف، مطلوب مني أن أخدع زملاء المهنة على اختلاف خبراتهم وكفاءتهم وإقناعهم بموت (علاء)، حتى يصبح خروجه من المستشفى أمرًا محتومًا لا شك في أسبابه، وعندها يمكننا الحصول على (علاء) والإخبار عن مكان الابنة المفقودة. هذا سيضمن تحقيق كل الأهداف، أهداف علاء بالخروج من السجن لأنه في نظر القانون ميت، وأهداف مروان وإنقاذ ابنته.

بدأت الصورة تتبلور الآن في ذهني نريده أن يموت أو بمعنى

آخر يعتقد الآخرون أنه ميت، الآخرون هؤلاء أطباء، الأمر أشبه بأن تذهب إلى طبيب عيون بصره حديد وتقنعه بأنه أعمى.

مهمة هي إلى المستحيل أقرب، ولكن نفعها عظيم وسينقذ فتاة من براثن الموت الوشيك لو صدق الخاطف كما يظن (مروان) وسينقذ أب منفطر القلب يتعلق بقشة يقدمها له قاتل مختطف. الأمر لا يحتاج إلى الطب وحده، الأمر بحاجة لتكاتف العلم والخيال والحظ.

أما الخيال فموجود لولاه ما وصلنا إلى ما نحن فيه، والحظ لا يمكن شراؤه ولا لأحد سلطان عليه، هي هبة تصيب من تشاء وتخطئ من تشاء ولكن كثير من الإرادة والسعي قد تجعله يتعاطف معك ويقف في صفك. أما العلم فعند الكثيرين ما نريده هو المستحيل ذاته، أما عند دكتور (هاني أيوب) فهو البحث الذي ظل يعمل عليه طوال العشرين عامًا الماضية، وكان السؤال الذي يطرحه دائمًا في أبحاثه.

«كيف يمكننا إنعاش القلب بعد توقفه؟».

بعيدًا عن ما يعرفه العامة من طرق لإنعاش القلب بالصدمات الكهربية والتنفس الصناعي وما تبثه الأفلام من إشارات مغلوطة، فقد تجاوز الرجل ذلك في أبحاثه وذهب برأسه بعيدًا، وكانت تجاربه على الفئران مشجعة، لكنه لا يملك السلطة لتحقيق ذلك على البشر، ولمعرفة أسباب ذلك دعنا نتحدث قليلًا عن (هاني أيوب).

في بداية حياتي العملية تزاملت العمل معه في إحدى المستشفيات، يشهد له القاصي والداني بالكفاءة والعبقرية ولكنه

لا يكتفي بما وصل إليه السابقون بل كان يتطلع لأن يصبح رائدًا، ولم تكن البلد تسمح باستيعاب أفكاره، فقرر السفر إلى أمريكا، هناك لديهم القدرة على توفير ما تحتاج إليه الأبحاث العلمية، وبالفعل منذ أكثر من عقد ونصف شد الرحال إلى النصف الآخر من الكرة الأرضية ومعه آماله وطموحاته. كنت بين الحين والآخر أطالع بحثًا له على الإنترنت أو في بعض الدوريات العلمية، كان يحقق شهرة لا بأس بها ولكني أعرفه، ليس هذا ما يستهدفه، إنه لا يبحث عن ادعاءات زائفة ولكنه يطرح أسئلة عدة بشأن الموت. لماذا الآن؟ هل يمكن تأجيله؟ أسئلة كهذه هنا تمنح الفرصة للآخرين لاتهامك بالزندقة أو الجنون، لكن بالخارج الأمر يختلف، اطرح أسئلتك وقدم اقتراحاتك ودعنا نتناقش، لا يمكن الحجر على فكرة ولا إلقاء تهمة دون وجه حق.

منذ عامين قابلته في النرويج، في أثناء أحد المؤتمرات، قابلني بحفاوة دون تعالٍ وهنأته على نجاحاته وأبحاثه التي وقعت في طريقي بالمصادفة، دعاني لتناول العشاء معه. قبلت الدعوة الحارة من زميل قديم في ليلة باردة من ليالي أوسلو.

وصل كلانا تقريبًا في نفس الموعد في مطعم الفندق الأنيق، كان ما زال يحتفظ بطابعنا المصري في المزاح وإلقاء النكات والقفشات، تناولنا الطعام وسط أجواء يسودها الود المتبادل والمرح، وحين هممت بسؤاله عن آخر ما وصل إليه في أبحاثه، لأن موضوعاتها تروقني فعلًا، تغير حاله وتبدلت ملامحه وظهرت عليه علامات عدم الرغبة في التحدث بالأمر، لكني ضغطت قليلًا فأجاب:

- ليس لديهم صدر متسع بما يكفي ليدعوني مع أبحاثي وشأني،

يريدون الوصول إلى نتائج لا يمكنني البوح بها في هذا الوقت، أنا أتولى إنشاء صرح عظيم ضخم، لا ترهقني طوال الوقت بسؤال إلى أي طابق وصلت؟ وكم طوبة وضعت؟

لم أفهم وقتها ما يقوله ويتعارض تمامًا مع أفكارنا المحفوظة عن عناية الغرب بالبحث العلمي ولكنه أفهمني بأنهم يحتاجون إلى الوصول إلى نتائج من أجل استمرار التمويل ولا يمكنه بأي حال عرض النتائج في الوقت الحالي، ما يصبو الوصول إليه غير مسبوق لكنه يحتاج إلى المزيد من الوقت.

عند هذا الحد فقد نجح في إثارة فضولي تمامًا ولكني أكثر من يعرف بأن نتائج الأبحاث أمر غاية في السرية، ولكن ما الذي وصل إليه ولا يمكنه حتى البوح به لمموليه وأظن أن من حقهم معرفة ما يتولون الصرف عليه، هذا أمر بديهي، ولكنني ابتلعت أسئلتي وتغلبت على فضولي وحاولت استكمال الجلسة بعيدًا عن العمل.

بعد سنوات سمعت خبر عودته من أحد الزملاء.

علمت لاحقًا بأن العروض تنهال على الرجل من عدة عواصم عربية ولكن (هاني) أوضح بأنه عاد من الخارج لأنه سئم الغربة وقرر الاستقرار في وطنه ولا يبحث عن كسب مزيد من المال فلديه ما يؤمن له حياة كريمة.

ثم انقطعت أخباره من جديد ولا أحد يدري هل هي استراحة محارب أم اعتزال أم أن للأمر صورة أخرى غير منظورة، بينما أنا لم أنسَ بعد محادثتي معه أبحاثه التي يعمل عليها وظننت أن الرجل عائد بقوة مع كشف علمي سيقلب الدنيا أو ورقة بحث عظيمة الشأن

لم يأتِ بها سابقوه.

تناسى الجميع الأمر مع الاستغراق في دوامات العمل وأمور الدنيا، حتى علمت ذات صباح بأن الرجل عاد إلى العمل في واحدة من أكبر المستشفيات الاستعمارية بالقاهرة، وأن الحجوزات تنهال للظفر بموعد لدى الطبيب البارع لدرجة أني سمعت أحدهم يتحدث بأن الرجل لديه حجز مسبق لمدة عام قادم، فضلًا عن المرضى القادمين من الدول العربية الشقيقة والذين لديهم القدرة على دفع أي مبلغ يتطلبه الحجز.

وبينما أنا جالس في مكتبي في أحد الأيام منذ ما يقرب من عام ونصف، إذ بي أجد أحد زملائي في المستشفى يدلف إلى مكتبي ومعه واحدة من الدوريات العلمية التي تصدر بشكل منتظم شهريًا، حياني في عجالة وعلى وجهه ابتسامة لم أفهم معناها وهو يلوح بالمجلة بيمناه ويسألني:

- هل قرأت هذا العدد؟

- عدد أكتوبر، لم أقرأه بعد، هل هناك ما يستحق الاهتمام؟

- بالطبع، ليس ذلك فحسب، أظنه حديث العالم الآن؟

بعد جملته الأخيرة شككث في أن الأمر ينطوي على كثير من المبالغة، سألته باهتمام:

- ما الذي تحويه الدورية؟

فمد يده على امتدادها وهو يناولني إياها.

وقعت عيني على العناوين المختلفة، لا يوجد من بينها ما يثير الاهتمام حتى أشار بسبابته إلى يمين الصفحة عنوان بفونت متوسط بلون أزرق داكن.

«محفز جديد للقلب، آمن وفعال لأعمار مديدة» ثم بأسفل منه بفونت أصغر «هل سنقول قريبًا وداعًا للموت؟».

«هذا ما سيجيب عليه دكتور (هاني أيوب) في العدد القادم، انتظرونا».

إذن الرجل لم يتوقف عن البحث، ولم يتخلّ عن مشروعه وأحلامه، حتى لو ترك الخارج وعاد إلى العمل من وطنه ولكنه ما زال يواصل تقديم الجديد.

رمقني زميلي وهو يستطلع رأيي في فضول، الرجل عبقري لم يشك أحد بهذا، أنا نفسي لم يخالجني شك في ذكاءه ومثابرته وما زلت انتظر منه المزيد، وقد بات الوقت قريبًا جدًا لمعرفة نواة مشروعه التي بنى عليها أبحاثه، كانت لهفتي للحصول على العدد القادم من الدورية في أوجها، بل إني شعرت بغبطة تجاه محررو العدد والقائمين عليه لاستطاعتهم معرفة ما يدور عنه مقاله وبحثه القادم، ولكنى تماسكت وألجمت فضولي بأن ما أريده سيكون في خلال أيام بين يدي دون تعريض نفسي لأي نسبة إحراج ممكنة. وانتظرت صدور العدد القادم بفارغ الصبر، حين صدر أمسكته بين يدى وتنحيت به جانبًا كي أقرأه على مهل، قلبت الأوراق في لهفة وعيني تلتهم العناوين بحثًا عنه ولكن لا أثر له ولا لاسمه، لا بد أني أخطأت في أثناء البحث وفوته بصري من فرط العجلة التي تنتابني

ولكن أعدت البحث مرات ومرات من دون جدوى. تساءلت بداخلي:

- ما الذي حدث ومنع نشر مقاله؟

راسلتُ المجلة متسائلًا عن المقال الذي وعدوا بنشره في العدد السابق والذي يخص دكتور(هاني أيوب)، لم يطل انتظاري وجاء ردهم سريعًا حازمًا مهذبًا بأن الطبيب لم يرسل البحث كاملًا في موعده المحدد ولم يرد على استعجالهم بشأن المقال لأسباب غير معروفة وإن لم يقم بالرد عليهم في الوقت المناسب سينشرون اعتذارًا رسميًا لجميع القراء.

غريب ذلك، ما الذي تغير وجعله يمتنع عن إرسال مقاله، لن يتوقف هذا الرجل عن بث ألغازه في رأسي.

لم يتوقف الأمر عند ذلك الحد بل عرفت أن الرجل في أجازة مفتوحة طلبها بنفسه ولم تتمكن المستشفى من الاعتراض، رجل وصل إلى هذا المستوى المهني والعلمي لا يمكن إرغامه على شيء، بعد بضعة أشهر عاد الرجل للعمل دون أي جديد له في الدوريات العلمية الشهيرة، وتوقفت أخباره بالنسبة لي عند هذا الحد.

حين فاتحني (مروان) بشأن رغبته في مساعدتي له بتحقيق الشرط الذي وضعه مختطف ابنته برقت في ذهني وقتها فكرة واحدة، لو أن هناك من يمكن أن يكون ذا عون لنا في هذه المهمة فإنه لن يكون سوى دكتور هاني أيوب.

(١٢)

دكتور هاني أيوب

تبقى الحياة رغم رتابتها لغزًا، نحن الذين نتعثر في لحظات السعادة على فترات متباعدة، يصاحبنا شعور دائم بأننا لسنا في المكان الصحيح، وكأننا جئنا إلى هذه الأرض دون إرادة، نعم هذا هو الحال، فبدءًا من ولادتك تبدأ خساراتك واحدة تلو الأخرى، عقب الولادة سيستقبلك الخوف والجوع والألم، وبعد سنوات من الطفولة والمرح ستُقذف إليك المسؤوليات من كل جانب، لتجد نفسك في خضم معارك فُرضت عليك ويصبح دورك هو الخروج بأقل الخسائر الممكنة مع انتصارات بسيطة صغيرة بين الحين والآخر لا تحرمك الأمل من مزيد من انتصارات جديرة بحرب الأعصاب المصاحب للحياة على هذا الكوكب، آه لو تُترك وشأننا دون أن يفرض علينا خوض غمار هذه المعارك الخاسرة، ولكننا نُدفع دفعًا ونُجر جرًا نحو سباقات لا تمنحنا سوى مزيدًا من الألم وقليلًا من الأمل، تلك هي الحياة التي كتبت لنا وما إن نبدأ في التكيف معها ونصل إلى الحكمة اللازمة للعيش بسلام دون تهافت على بريق زائف حتى تُسحب منا علامات الحياة تباعًا ويهرم الجسد الذي طالما ملأ الأرض نشاطًا وعزمًا، تذبل فيك العزيمة وتكتسب حكمة متأخرة مفادها ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك دون تحمل مشقة تعب الأعصاب المصاحب لهذا العناء في السعي والذي لا يضمن حتى احتمالية الوصول، ولكن ما دمنا قد وصلنا إلى هذه الأرض دون إرادة، فلنعمل على أن نغادرها بملء إرادتنا، ليس لزامًا كما

فرضت علينا الحياة أن نرفع راية التسليم للموت، إذا كنا جئنا لهذه الأرض لإعمارها فلنحظى بأطول وقت ممكن لأجل هذه المهمة أو على الأقل نحاول، لذا كان هذا الأمر هو شغلي الشاغل، لماذا يموت أحدنا فجأة؟ مقدمات الموت معروفة وتجعل أمر مفارقة الحياة شيئًا مألوفًا لا اعتراض عليه، أما أولئك الذين تُسحب منهم الورقة بشكل مفاجئ أولئك مأساتهم أكبر، لماذا عطل مفاجئ عسير التوقع ينجم عنه هذه الخسارة الفادحة بالموت، ألا يستحق ذلك البحث؟ ألا يستحق ذلك المحاولة؟ هذا هو ما كرست له عمري، تفادي الخروج المبكر، تفادي الطرد المفاجئ من الحياة وكان الأمر دائمًا يتوقف عند القلب والمخ، هذان العضوان هما اللذان لديهما القدرة على منحك الحياة أو سلبها منك.

غير أنه في سبيل سعيي وراء ذلك كان هناك اكتشافًا عظيما بانتظاري، نعم أعظم تلك الاكتشافات هي تلك التي نجدها في أثناء سعينا في اتجاه آخر تمامًا ونجدها من باب المكافأة على هذا المجهود اللا محدود الذي تبذله في أمر ما فتجد الحصاد يتدافع إليك من حيث لا تتوقع.

كانت طاقتي موجهة في البداية نحو العمل على إعادة تشغيل القلب، هذا العضو الحيوي الذي يمنحنا الحياة ويعمل بانتظام، يعمل بلا تدخل منا، هل يمكن لنا نحن البشر إيجاد طريقة ناجحة لنديره بها، هل يمكن التحكم به لدقائق أو ساعات، الآن توقف! الآن واصل!

كانت تجاربي في البداية على الفئران، هذا الحيوان الصامت صاحب الفضل في كثير من الإنجازات العلمية. لا يمكنني إنكار أني

قتلت كثيرًا منهم، لكن ما وصلت إليه يستحق. لقد استطعت بطريقة ما إيقاف القلب لوقت محدد. نعم لوقت محدد ومن ثم محاولة تشغيله من جديد، أي قلب ينبض يمكن إيقافه بعدة طرق لدرجة أن بعض ممارسي اليوجا ومدربيها أدعوا ذلك عبر تمارينهم ولكنهم في الحقيقة فقط استطاعوا إبطاء النبض وخفوت الدقات وتمكنوا من إثبات ذلك عبر جهاز تخطيط القلب (ECG).

أغلب عمليات القلب المفتوح تستلزم عمل دورة دموية خارجية تتخطى القلب والرئتين وتبقي على جريان الدورة الدموية لأنسجة الجسم المختلفة لكن دون المرور بالقلب والرئتين وتسمى هذه التقنية (Cardiopulmonary bypass CPB) أي تعدي القلب والرئة والاستغناء عنهم بشكل مؤقت.

وكما إنهم يعملون على إيقافه في أثناء العمليات فإنهم أيضًا يعملون على إعادة تشغيله وأحيانًا يستلزم الأمر صاعقة كهربية لتحفيز القلب، إذن الأمر ممكن منذ نحو ٦٠ عامًا بداية من العالم السوفييتي سيرجي بروكونيكو مبتكرها، والطبيب كلارنس دنيس المشرف على الفريق الذي طبقها لأول مرة في أول عملية قلب مفتوح كانت من نصيب الدكتور جون جيبسون في عام ١٩٥٣.

بعد تجارب استمرت لعشر سنوات كلفتني أرواحًا عديدة من الحيوانات وأرواحًا قليلة من البشر، تمكنت من الوصول إلى هذا العقار الذي يمنح القلب بعض الراحة ولا يسبب تلف الأنسجة، ويصبح الجسد كله في حالة خمول وكأنه في هدنة من الحياة، نعم إنها قفزة علمية هائلة لو تم الإعلان عنها فكل جوائز الأرض لن تفي

حق هذا الإنجاز العلمي الغير مسبوق وستهون أمامها كل الأرواح التي تم التضحية بها في سبيل ذلك الكشف المهول.

الآن صار يمكنني إيقاف القلب دقائق محددة، لم يتوقف بحثي عند هذا الحد ولكن هذا العقار يمكنه تثبيت ضربات القلب عند ٣٠ نبضة في الدقيقة، إنه عدد منخفض جدًا لا يمكن لأي طبيب مهما كانت براعته أن يميز إن كان صاحب هذا القلب حي أم ميت، وبالتالي يصبح المريض في نظر الجميع ميتًا بينما قلبه يعمل بأضعف صورة ممكنة وبأقل عدد من الدقات لا يمكن قياسه سوى بالأجهزة المتخصصة، ولكن ظل سؤال يطرح نفسه ما هي أقصى مدة يمكن إيقاف القلب معها ظاهريًا أو تثبيته عند هذا الحد دون حدوث ضرر ملموس لا يمكن إصلاحه، ظلت تجاربي مستمرة حتى تمكنت من الوصول إلى أقصى وقت ممكن وهى من ٣ -٤ ساعات، بعد ذلك يواجه الجسد مخاطر عدة، قد يكون من بينها الموت، أنا لم أحنط القلب، أنا فقط منحته بعض الراحة هو وسائر الجسد، ينبغي الذكر أيضًا أن عملية إعادة التشغيل للوضع الطبيعي تستلزم متابعة طبية دقيقة، لكن فقط مجرد الوصول إلى ذلك إنجاز حقيقي يمكن تطويره وتطويعه لمهام وإنجازات أخرى. لكن كما ذكرت من قبل أن ذلك لم يكن أعظم الاكتشافات التي أوصلتني إليها تجاربي، لكني كنت على موعد مع كشف آخر لم يخطر على بالي قطُّ وربما على بال أحد ببساطة لأنه فائق الخيال، ولكن ماذا لو تحول الخيال إلى حقيقة وصار لدينا شهود على ذلك.

الكشف الثاني هو الأهم والذي منعني حتى الآن من الإعلان عن كشفي الأول.

هل تساءلت يومًا ما الذي يحدث لعقلك بينما أنت راقد في غيبوبة، تبدو للجميع غافيًا بعض الوقت، أو حتى قد تبدو ميتًا أو أقرب إلى الموت؟ ما الذي يدور برأسك، أين يكون وعيك في هذا التوقيت؟

عن هذا الموضوع سأدعك مع شهادات الآخرين وهي ستقدم لك صورة معقولة عما أوذ الحديث عنه.

نبدأ بشهادة (مارك بليتشر) الرجل الإنجليزي الأربعيني الذي سقط في غيبوبة كاملة لمدة تسعة أيام عقب تعرضه لحادث سير مروع كاد يودي بحياته:

- أؤكد لكم أنها كانت أطول تسعة أيام في حياتي، أنتم ظننتموني ميتًا أو نائمًا، بينما كنت أواجه أخطارًا لا قبل لكم بها في أرض عجيبة، ليست حلمًا ولا كابوسًا، هي أسوأ من ذلك، لولا أني تجاوزت هذه الأخطار لما استطعت العودة، لقد عدت لأني فزت، دون ذلك لكنتم الآن تترحمون عليّ بينما أنا في قبري.

لم يصدقه أحد وقتها، إنها مجرد هلوسة مصاحبة لفقدان الوعي أو حتى كابوس طويل رآه الرجل، لكني لاحقًا تواصلت معه لمزيد من الفهم عما تحدث عنه، دعونا منه الآن وننتقل إلى (سيلفيا بلونت) الأمريكية من ولاية تكساس التي بقت في غيبوبة لمدة تجاوزت الشهر ولكنها ودت لو رقصت فرحًا عقب عودتها من الغيبوبة تعالوا نتعرف على شهادتها لنعرف السبب.

تقول سيلفيا:

- لقد نجوت، لا أصدق ذلك، لا لم أنجُ من الموت، ولكن ذلك العالم

الذي أصبحت فيه فجأة بقوانينه وألعابه وهراءه عقب ذلك الحادث، كنت سأجن من فرط الأهوال هناك، حتى لتبدو هذه الحياة جنة الله على الأرض، هي حياة لطيفة، هادئة لا نقدرها حق قدرها ولا نشكر عليها الرب حق شكره، أنتم محظوظون أنكم لم تمروا بما مررت به.

ملاحظات عدة وتعليقات كثيرة من عديد من الشخصيات الذين لا تربطهم أي صلة ببعضهم بعضًا سوى أنهم جميعًا سقطوا في غيبوبة مؤقتة طالت أو قصرت ولكنهم يتحدثون عن عالم غريب سقطوا فيه في أثناء فقدان الوعي وعادوا منه مع رجوع الوعي. قد نركن إلى أنها هلاوس ومحض خيال نتيجة التعرض لحادث مؤثر، لكن حين تحدث (أوليفر هيجل) أحد أولئك الذين تعرضوا لتجاربي والذي أفلت من الموت بأعجوبة كان لديه تفاصيل أقوى ووصف أدق لما عايشه بينما أنا أراه راقدًا أمامي في أثناء إجراء التجربة.

حين استيقظ كان يوجه إليّ السباب ويقذفني بأقذع الشتائم، أتفهم تمامًا المخاطرة التي وضعته فيها لكنه كان يتحدث عن شيء آخر تمامًا:

- ما الذي فعلته بي وبرأسي؟ كيف تلقي بي هناك وتتركني وحيدًا؟

حاولت تهدئته رغم ثورته وصراخه وتشنجه الذي جعله قادم من قاع محيط تتلاحق أنفاسه وهو يرغي ويزبد وتتصاعد دقات قلبه كأنه على وشك الانفجار، وبعد أن استعاد بعض الهدوء، طلبت منه أن يشرح، أن يفسر، أنا لا أفهم حرفًا وهو يكيل لي الاتهام ويرميني بممارسة السحر. هدأ قليلًا. ليروي لي ما رآه:

- حين استيقظت كانت السماء السوداء أقرب إلى رأسي من أي

مرة، كان علي الخيار بين الموت أو اللعب، ولكن من لديه ذرة عقل ويذهب إلى الموت بقدمه؟ لم أكن أعرف ما ينتظرني في الجهة الأخرى، ربما لو علمت لأنهيت حياتي بيدي، الموت مرة خير من الموت ألف مرة، لن أنسى وجه الذئب وهو يتشمم جسدي، كان اختبارًا مريعًا وأنا أكتم صرخاتي بداخلي، كيف تحتفظ برباطة جأشك بينما قلبك سينخلع من فرط الهلع، تبًا لهذه اللعبة القاسية.

ثم توقف عن الحكي وأخذ يبكي، فاقتربت منه وأنا أربت على كتفه لعله يهدأ:

- آسف لتعرضك لهذا الكابوس.

- أقسم لك لم يكن كابوسًا، لا كوابيس بهذا الوضوح، لقد رأيت الكوابيس من قبل وأعرف أنها ليست بهذا السوء، كدث أجن من أجل أن أصرخ وكان هذا أفضل ما يمكنني القيام به، ولكن هذا هو التحدي، قانون اللعبة، ألا أصرخ، ألا أهرب.

- لعبة؟ أي لعبة تقصد؟

- هناك، إما أن تلعب وتفوز وإما أن تهزم لتبقى هناك حتى الموت، الفوز شرط أساسي للاستمرار.

- أنت لم تغادر هذا الفراش ولا هذه الحجرة، لقد كنت أمامي طوال الوقت.

- لا أعرف، ربما جسدي كان كذلك، لكن عقلي كان في مكان آخر، يعي ويسمع ويرى، ما زالت أنفاس هذا الذئب الضخم تلهب جلدي، يا له من أمر مقزز.

تركته يهدأ وهو يخشى أن ينام، يخشى أن يعود إلى هذا العالم الذي تحدث عنه بينما أخذت أفكر فيما ذكره وأربط بين ما سمعته من قبل وما ذكره هيجل، ليست هذه هي الشهادة الأولى، هنالك شهادات مختلفة لأفراد متباينين، كلها تفيد أن بعض الذين تعرضوا لتوقف مفاجئ في عضلة القلب كانت لهم رؤاهم المفزعة عن عالم غريب يخوضون فيه تحديات غير مسبوقة من أجل استمرار بقائك حيًا، الخسارة معناها البقاء هناك حتى الموت، الفوز معناه استمرار وجود أمل أن تعود في أي لحظة إلى عالمك.

بالطبع قابلت حالات أخرى لا تتذكر من فقدان الوعي شيئًا يُذكر، وللإنصاف لم يكونوا قلة بل على العكس تمامًا هم يمثلون الغالبية، لا أعرف هل كانوا هناك ولم يتذكروا، هل رفضوا الاعتراف بهذا العالم منعًا للبلبلة؟ أم إنهم لا يريدون أن يرميهم أحدهم بالجنون؟ لا أعرف على وجه الدقة أسباب معاناة البعض دون الآخر، لقد أجريت عشرات التجارب مستخدمًا هذا العقار ووصلت إلى هذه الفرضية.

إذا تم الإنعاش في مدة تتراوح بين ٣ و٤ ساعات سيعود المريض وكأنه كان في غفوة قصيرة أما لو استمرت المدة أكثر من ذلك فالأمر محفوف بالمخاطر، قد ينتهي أجله، قد يعود قلبه إلى العمل ولا يعود وعيه، قد تطول مدة بقاءه في الغيبوبة وقد يُفقد في أي وقت وقد يعود بعد ذلك، الأمر في هذه الحالة خارج عن السيطرة.

أنا نفسي خسرتُ عددًا منهم في أثناء التجارب، أغلبهم لم يكونوا على علم بما هم مقبلون عليه، ولكنهم يعلمون بأنهم قيد تجربة دواء جديد، لكنهم ذهبوا بلا رجعة.

ربما شغفي بالوصول إلى الحقيقة وراء موت ضميري، إلا إنه يباغتني بأنه بين الحين والآخر ما زال يخفت بنبض بسيط، ربما هو في سبات طويل ولكنه موجود، وإلا ما انتابني الندم ليالٍ طوال، لكني اعتدت دفعه ومواصلة العمل حتى فوجئت ذات يوم بزيارة من صديق قديم أظنها أحدثت الدوي اللازم ليصحو ضميري من سباته، ربما لولا ذلك لما رأى نهار من جديد.

(ضياء السلاموني) طبيب له اسمه في عالم الطب بمصر وصديق قديم غير مزعج، بينما أنا في عملي وجدته يطلب مقابلتي في الوقت الذي أراه مناسبًا، انتابتني الحيرة تجاه طلبه هذا فعلاقتنا مبتورة منذ زمن ولم تتماس سبلنا منذ فترة بعيدة.

التقينا كما هو متفق بأحد مطاعم القاهرة الجديدة، مكان هادئ يناسب كلينا ويسمح لنا بتبادل الحديث، بادرني بسؤالي عن البحث الذي نويت نشره وتراجعت عن ذلك لاحقًا، لم يعد الحديث عن الدواء الذي ابتكرته يشغلني بقدر ما يشغلني هذا العالم الذي أتلمس معالمه وأسمع عنه دون أن أراه، وبات أمر الدواء أمرًا ثانويًا لم يأتِ الموعد المناسب بخروجه للنور.

برغم لهفته الواضحة لمعرفة سر عدم نشر مقالي في موعده، إلا أني لم أفصح عن أسبابي الحقيقية وراء امتناعي عن إرسال المقال، كذلك لم أشعر بأن هذا هو السبب الحقيقي وراء زيارته لي، هناك أمر ما أكثر أهمية من ذلك، بالفعل صدق ظني وسمعت منه تلك الحكاية العجيبة عن اختطاف ابنة أحد رجال الأعمال من قبل أحد المجرمين، والشرط الذي وضعه من أجل الإفصاح عن مكانها

وإطلاق سراحها، وعن الفكرة المجنونة التي راودت الأب وأوحى بها إلى (ضياء) أو ربما العكس لا أعلم، ولكني فور سماعي القصة فهمت ما يريده ضياء قبل أن يتفوه به بشكل صريح، إنه يريد مساعدتي في تحقيق رغبة الأب ومساعدته بتنفيذ مطلب هذا المجرم، ولكن بالطريقة الأكثر نظافة مهما تكلف الأمر، وهذا عرض واضح بمبلغ خيالي ضخم حال موافقتي، ولكني لم أقتنع أو أنشغل بأنه يتعين علي المشاركة في هذه الخطة المحفوفة بالمخاطر، أبلغته بأن الأمر يفوق قدراتي ولكني سعيد لثقته في وتقديره لي بهذا الشكل، لم يلح الرجل رغم شعوره بعدم مصداقيتي وعدم رغبتي في المساعدة، رأيت ذلك في نظرة عينيه، حقيقة لم يشغلني الأمر دقيقة واحدة عقب المغادرة، حتى عدت إلى منزلي ومعملي وأبحاثي، ولكن لسبب مجهول في الأيام التالية باتت أخبار (مروان خليل) وابنته تلاحقني من كل اتجاه وتظهر أمامي في كل مكان، افتح التلفاز فيقابلني حلقة عن حوادث الاختطاف وآخرها ابنة (مروان)، اذهب للعمل فيترامى إلى مسامعي حديث الممرضين والممرضات عن المكافأة التي رصدها لمن يدلي بتفاصيل عن مكان وجودها، أتصفح أحد المواقع فتقع عيني على تعليق لأحد الأشخاص يتحدث عن الابتلاءات حتى لمن يمتلكون الملايين مثل (مروان)، كأن القدر يلقي بأخباره أمامي بشكل فج مقصود، ثم كانت القشة الأخيرة هو خبر قرأته في الصحف عن تدهور الحالة الصحية لرجل الأعمال (مروان خليل) عقب تضاؤل فرص العثور على ابنته حية.

هنا بدأت التفت لما غاب عني من قبل، لم تكن زيارة (ضياء) لي عبثًا، ربما هي فرصة للتكفير عن خطاياي بحق البشر، تجاربي في

أمريكا لا تخلو من الكوارث، كم روحًا سلمتها بيدي لملك الموت؟ يبدو أن ضميري ليس بالسوء الذي تصورته، هو فقط يحتاج إلى إعادة شحن من جديد، وكان (مروان خليل) هو الشاحن والدافع وراء صحوتي الجديدة، ولِمَ لا؟ ما الذي سأخسره لو مددتُ يد العون لرجل تسوء حالته لفقدان ابنته، ربما لو تدخلت لأمكنه العثور عليها، كل ما هو مطلوب قمت به عشرات المرات من قبل مع أناس أكثر نفعًا من المجرم خاطف الابنة، في أسوا الظروف لو مات ستكون نتيجة عادلة جراء جريمته، لن أكون السبب.

طلبت لقاء دكتور (ضياء) الذي انتابته الدهشة عند سماع صوتي. التقينا من جديد وعرضت عليه شروطي:

١ - الأمر في غاية السرية ولن يخرج عن ثلاثتنا أنا وهو والأب.

٢ - يُحظر استخدام هذا العقار في أي عملية أخرى كما إني غير ملزم بالإفصاح عن تركيبة هذا العقار أو آثاره الجانبية، القلب سيتوقف لدقائق ثم سيعود للعمل بأقل معدل ممكن لا يمكن ملاحظته من أي طبيب.

٣ - يجب اتباع التعليمات بحذافيرها لأن أي خطأ ستكون عواقبه وخيمة.

٤ - عدم الحديث عن أي صلة تربطني بهذا الأمر لاحقًا.

٥ - الجرعة المعطاة تكفي بالكاد لإتمام المهمة.

٦ - تقديم عرض مادي يتناسب مع قيمة الخدمة المقدمة.

لقد قدمت له ما يريد ومنحني شيكًا على بياض، أضع فيه المبلغ

الذي أريده، لم أتوقع أن يكونوا بهذا الكرم، فوضعت أنا مبلغ مكون من ٦ أرقام، حين مرر ضياء عينه عليه لم تبدُ عليه المفاجأة أو الاندهاش، لقد حققت لهم أمنية شبه مستحيلة لن تشوبها شائبة، إلى هنا ينتهي دوري في هذه القصة وحقيقة تمنيت لهم النجاح والعثور على الابنة لعلّي أحظى ببعض راحة مفقودة للضمير.

***

دكتور ضياء السلاموني

جلسنا أنا و(مروان) نرسم الخطة التي ستجعل الأمر يبدو طبيعيًا باستخدام بعض العقارات، قبل أن نلفق وفاة المجرم ينبغي التمهيد ببعض المقدمات حتى تأتي الوفاة طبيعية بعد ذلك، حددنا معًا بعض الأدوية التي عليه تناولها، هذه الأدوية تسبب اضطراب في ضربات القلب، نريد إشاعة عدم استقرار الحالة القلبية لهذا المدعو (علاء)، بالفعل ساءت حالته أكثر من مرة وتم نقله إلى مستشفى الحبس نتيجة إجهاد عضلة القلب، كنا نمنحه هذه الأدوية بحساب، بالشكل الذي لا يؤثر على حياته، ثم سيأتي خبر وفاته متماشيًا مع ما سبقه من مقدمات.

في الأيام التالية انتقل المتهم للمستشفى أكثر من مرة، ونزل بها عدة أيام، وفي الموعد المتفق عليه أوصلنا إليه جرعة من اللقاح الخاص بـ(هاني أيوب)، لم نخبره بأثرها لعدم إشاعة الأمر، أبلغت مروان بأن لدينا متوسط ٣ أو ٤ ساعات بحد أقصى لإعادة قلبه للعمل بشكل طبيعي، أي تأخير عن ذلك قد يفقد معها المختطف حياته.

لم يكن علاء على علم بما ندبر له، نحن فقط نرسل إليه رسائل وعليه إتباعها وتنفيذها في الداخل بدقة.

طلبنا من علاء تناول العقار بعد الفجر بقليل، سيلاحظ الحراس في الصباح توقف نبضه، ثم يتم نقله إلى المستشفى، يتيقن الأطباء من موته وتوقف قلبه عن العمل، على الأغلب سيبررون موته بضعف عضلة القلب أو هبوط حاد في الدورة الدموية، الأيام الفائتة تؤكد أن لديه قلبًا هزيلًا يعاني، سيصل إلى ثلاجة المستشفى بعدها، هناك أنهى المحامي ترتيبات خروجه بالاتفاق مع العاملين هناك، سيحصلون على أموال تجعلهم أثرياء، حتى لو بلغ الأمر دخولهم السجن، سيتحملون من أجل الحصول على الأموال، يرى المحامي أن العقوبة قد تكون مخففة أو معدومة بسبب شهادة الأطباء بوفاة السجين وإجماعهم على ذلك، سيخرج مع السيارة التي تحمل مخلفات المستشفى والتي تأتي كل صباح، بعدها سيتم أخذ حمولة كل ما في السيارة ونقلها لسيارة أخرى تابعة لنا، ومن ثم الحصول على جسد (علاء) والعمل على عودة قلبه إلى العمل مرة، في هذا التوقيت كانت أعصابي تغلي من الخوف، أعد الدقائق والثواني، الوقت يمر كالبرق بينما القائمين على التنفيذ يتبارون في الإبطاء، ومراقبونا يمنحونا صورة عن الوضع دقيقة بدقيقة، كلما طالت المدة بين توقف القلب ومحاولة الإنعاش كلما قلت حظوظه في العودة وإخبارنا بالحقيقة، لو فقدنا (علاء) سنفقد أمل الوصول إلى (هدير)، ولو فقدنا أمل الوصول لهدير فوالدها لا محالة هالك، لا أعرف كيف أقحمت نفسي في هذا الأمر وورطت نفسي بسذاجة.

مرت أكثر من ٤ ساعات وفي هذا خطر شديد على (علاء) وعلى

العملية بأكملها.

جاءتني المكالمة أخيرًا، (علاء) في طريقه إلى الفيلا البعيدة عن العمران والتي تتمتع بخصوصية هائلة، كنت بانتظاره هناك وكافة الأجهزة اللازمة لتحفيز القلب جاهزة للعمل.

حاولت إنعاش قلبه، بكل الطرق وبكل ما أوتيت من خبرات، قلبه يتوقف عند ٣٠ نبضة، لولا أن الجهاز يخبرني بذلك لجزمت بموته، هكذا تم خداع أطباء المستشفى، بعد محاولات عديدة عاد قلبه إلى العمل بصورة طبيعية من جديد، نعم فعلناها، ولكنه لم يسترد وعيه بعد، لقد ظل موصلًا بكافة الأجهزة التي تضمن عمل أجهزته الحيوية، غير أنه لم يفق من الغيبوبة، لقد أنجزنا نصف المهمة وهرّبنا (علاء)، بقي أن يعود إليه وعيه ويفصح عن مكان (هدير)، باءت كل محاولاتنا معه بالفشل، علاء دون وعيه، لا أهمية له، سيبقى معنا مجرد جثة نابضة القلب، تتنفس بانتظام ولا شيء أكثر من ذلك، كاد (مروان) أن يجن بعد كل ما فعلناه ولا نحصل على المرجو، سيموت من الحسرة لو طال هذا الأمر.

(١٣)

كريم حمدي

علامات الفوضى التي وُجِدَت في كل مكان لم يتبقَّ لها أثر بعد ساعة واحدة من حديثهم مع الرجل ذي اللحية البيضاء، أوشكت الليلة على الانتهاء، لكن النوم لم يزر أي منهم، وهو ما جعلهم يجتمعون من جديد في بهو القصر، سادت دقائق من الارتباك بعد اكتشافهم أنهم ينتمون إلى فريق عمل واحد لقضاء مهمةٍ ما، تجولوا جميعًا في الدور الأرضي للتعرف على هذا المكان الذي يجمعهم، بدا قصرًا فسيحًا شاسعًا، متعدد الغرف، جميعها يبدو مجهزًا بشكل جيد، الأعمدة المنتشرة والأثاث الراقي نما عن ذوق رفيع لا يعلمان على وجه الخصوص صاحبه.

لكنهم لاحظوا جميعًا أن كل شيء يبدو هنا جديد وكأنه تم تجهيزه منذ أيام قليلة، عجيب هذا المكان لكن من الواضح أنه يتمتع بعزلة خاصة، حيث لا تغطية لشبكات المحمول، كما أن النوافذ رغم الظلام السائد لا تظهر أي مبانٍ مجاورة، لا بد أنه مع حلول الصباح ستتضح الصورة أكثر،

استغرق كريم في الشرود فقاطع سرحانه فولكوف:

- هل أقنعك كلام هذا الرجل عبر الشاشة؟

- ليس بشكل كامل، ولكن لماذا يخدعنا؟ نحن فئران في المصيدة ولديهم كل الوقت والوسائل للتخلص منا، أرى الأمور تتحسن صحيح أنها لم تتضح بشكل كامل لكن مع الوقت سنفهم أكثر.

عقارب الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا، بدوا جميعهم منهكين وبحاجة إلى قليل من الخصوصية، فاتجهوا إلى غرفهم من جديد للحصول على قسط قليل من الراحة.

في التاسعة صباحًا ومع تمكن أشعة الشمس من التسرب عبر نوافذ الغرف والشبابيك العالية إلى جنبات المكان وصل الرجل الذي كان يحادثهم عبر الشاشة، منى هذا الوقور نفسه بأن تنتهى لعبة فقدان الذاكرة قبل الحضور لكن ملامحهم في أثناء استقباله لم تنبئ بأي تغيير عن محادثتهم بالأمس، ابتلع ريقه وحاول تجاوز هذا الأمر غير المفهوم ليقدم لهم نفسه مرة أخرى:

- حسنًا ينبغي أن أقدم نفسي من جديد، معكم دكتور (ضياء) الطبيب الخاص برجل الأعمال الشهير (مروان خليل).

مع سماع اسم رجل الأعمال بدت على (كريم) ملامح التعرف على الاسم وهو ما وجده (ضياء) علامة لا بأس بها ثم استطرد (ضياء):

- أنا الشخص الموكل من قِبلِهِ بتجميع فريق طبي كفء يمكن الوثوق بخبرته وكذلك الوثوق في كلمته، لقد قطعنا وعدًا جميعًا وعلينا أن نفي به حتى النهاية وهو سرية هذه المهمة حسب طلب (مروان خليل) نفسه.

- ثم رفع بصره نحو الطابق العلوي وقال:

- لدينا بالأعلى رجل في غيبوبة إثر تناوله عقار ما لأهداف معينة، ومنذ ذلك الحين توقف قلبه عن العمل لبعض الوقت وعاد إلى العمل من جديد لكن منذ واصل قلبه العمل وهو غارق في هذه الغيبوبة.

- ومهمتنا هنا هي العمل على إفاقة هذا الرجل من الغيبوبة.

قالها كريم.

نعم، لقد تم اختياركم وفق السمعة الطيبة التي تتمتعون بها جميعًا نظير مبلغ مالي ضخم، دكتور فولكوف ودكتور يورجن وليندا في زيارة عمل لمصر، تواصلت معكم لمدة الزيارة، كنا بحاجة إلى أساتذة ولم نجد أفضل منكم، أرجو أن تتحسن ذاكرتكم سريعًا، كي تعرفوا أن بقاءكم هنا ليس شدى.

فقال فولكوف:

- وبالنسبة إلى جثة الممرضة التي لا نعرف حتى من قتلها ولماذا؟

- هذا سؤال يفرض نفسه فعلًا، لكن عليكم أنتم تقديم إجابات، أنتم من رافقتموها في الليلة الأخيرة، لقد قدمتم هنا منذ يومين، لا أظن أن هذا وقت كافٍ كي تشتري عداوة أحدكم ثم يقدم على قتلها.

- مهلًا، مهلًا، هل صرنا متهمين بقتلها؟

قالتها ليندا بغضب وقد برزت عروقها وجحظت عيناها غيظًا.

فقال ضياء مستدركًا:

- أنا لا أتهمكم بشيء يا سادة، وحتى الآن لا أعرف ما العمل في جثتها وكيف سنبرر ذلك، يمكن للشرطة أن تساعدنا في الحصول على أجوبة بشأن هذه النقطة، كما تعرفوا الطب الشرعي يمكنه تحديد الفاعل بمنتهى السهولة، أنا شخصيًا أستبعد تمامًا قيام أحدكم بذلك، وحسب علمي لا معرفة سابقة بينكم جميعًا، حتى

دكتور فولكوف لن يقتل مساعدته هنا، هذا أمر لا يعقل، إذن لماذا قُتِلت؟ هذا سؤال لديكم أنتم إجابته، كذلك فقدان الذاكرة الجزئي الجماعي أمر غير معروف علميًا، ويمكنكم تصحيح ذلك لي إذا كنت مخطئًا، ونحن لا مصلحة لنا في قتلها أو في توجيه الاتهام لأحدكم.

فقال (يورجن):

- يمكن أن يكون الرجلان بالخارج من فعلاها؟

جاء هذا السؤال كمخرج لهم جميعًا، ولكن دكتور (ضياء) أجاب بحزم:

- ما مصلحتهما؟ وإن كانا فعلاها، فكيف أصابوكم بفقدان الذاكرة؟ إنهما مجرد حارسان لكم ولتلبية مطالبكم واحتياجاتكم، لديهما سيارتان بالخارج لإحضار أي شيء تطلبوه، لن يدخلوا هنا دون طلبكم أنتم، لن يفعلوا شيئًا لم يؤمروا به، وأنا لم أعطهم أمرًا بقتلها، ضعوا أنفسكم مكاني!

هنا تدخلت (ليندا) بحسم:

- إن كان علينا العمل معًا كما تقول، فلن أضع يدى في شيء قبل أن أعرف من قتل تلك المرأة، بحسب كلامك والذي يبدو منطقيًا فإن أحدنا فعلها، أيًا كانت أسبابه، لا يمكن العمل مع فريق أحد أعضائه قاتل.

ألقت (ليندا) قنبلتها ثم صمتت. ولم يوقف هذا السكون إلا صوت فولكوف :

- أنا أيضًا، أتضامن مع هذا الرأي، لن أعمل قبل أن أعرف من قتل

هذه السيدة ولماذا؟

تبادل (كريم) و(يورجن) النظر ولم يجدا سوى أن ينضما إلى رفيقيهما وإلا سقطا في مرمى النيران. وأضاف (كريم):

- كذلك أريد أن أعرف من الذي وضعني بداخل هذا الصندوق في القبو، لقد فتشت المكان صباحًا، لم يكن تابوتًا كما ظننت في البداية ولكنه صندوق كبير من ذلك النوع الذي يضم الآلات الموسيقية ومستلزمات الحفلات.

التصميم الذي ظهر على وجوههم لم يعطِ أي خيار آخر لدكتور (ضياء) سوى الإذعان لمطلبهم فأعلن موضحًا:

- ولكنكم ستتقبلون النتيجة، لو فعلها أحدكم سيكون في ورطة كبيرة ولن يكون بمقدوري مساعدته.

الأمور باتت واضحة الآن لديهم جميعًا، أحدهم قاتل لسبب غير معلوم.

ثم واصل ضياء:

- اعلموا جميعًا، أن هذا سيستغرق بعض الوقت حتى يتم بشكل مطلوب لا يعيق تنفيذ مهمتنا!

في الحقيقة لدي سؤال آخر قال كلينسمان:

- لماذا هذه السرية المفرطة المفروضة على هذه المهمة ولماذا هذا المكان النائي المنعزل؟

- لأن الرجل الراقد بالأعلى هو ميت على الورق، الصحافة

والشرطة والعالم أجمع يعلمون أن هذا الرجل غادر الحياة، مدفون في مكانٍ ما، وحدنا من نعرف أنه ليس كذلك فهو ساقط في غيبوبة لا نعرف متى سيفيق منها، بنظرة واحدة منكم في الطابق الأعلى ستعرفون أنه حي.

- وما هو هذا العقار الذي تناوله؟

- هذه قصة أخرى، ليس وقتها الآن.

- ولكننا كأطباء نعمل هنا، من حقنا أن نعرف، هذا سيساعدنا كثيرًا.

- نعم هذا حقكم، ولن أخفي عنكم معلومة بشأنه، لا أصدق أني أقدم نفس الإجابات لنفس الأسئلة التي طُرِحت في المرة السابقة، عقلي لا يتقبل أن أخوض النقاش ذاته بعد أقل من ٥٠ ساعة، لقد قمت بكل ذلك من قبل عدا جريمة القتل، نفس الأسئلة نفس الإجابات، مع مزيد من الأعباء والألغاز.

تذمره هذا لم يجلب لهم أي إشفاق تجاهه، شعورهم بالخطر يتنامى خاصة مع إدراكهم بأن بينهم قاتل في أغلب الظن، مشاعر مثل هذه لم يختبروها من قبل، كيف يمكنهم العمل معًا مع هذا الشك الذي يتغذى على أفكارهم.

على أي حال لم يفلح ضياء في إقناعهم باستئناف العمل، ولكنهم وعدوه بمتابعة حالة هذا الرجل الراقد، متابعة طبية تبقيه حيًا دون أي تقصير منهم حتى يتم الإجابة على تساؤلاتهم بشأن مقتل زميلتهم.

كان ضياء يدير الموضوع بكفاءة، له علاقات متعددة وتلاميذ

أوفياء في شتى المجالات يرحبون بتقديم العون رغم المخاطر، هذه هي سمة أن تكون اسما كبيرًا في عالم الطب، الكل يبادر بتقديم الخدمات أملًا في ردها في مواقف مماثلة الصعوبة، وكان الرجل للحق متعاونًا مع الجميع ولم يتأخر في إسداء معروف بإمكانه تقديمه.

في خلال هذه الأيام بدأت تعود الذاكرة تدريجيًا إليهم عدا آخر يومين بقيا مفقودين تمامًا، ليبقى السؤال كيف فقدوا جميعا ذاكرتهم بهذا الشكل الجماعي؟

(١٤)

علاء عبد العزيز

لم نمكث طويلًا في الغرفة الجديدة، وجدت الرجلين الآخرين كلًا منهما يجلس في صمت مسندًا رأسه على الجدار وقد مد قدميه إلى الأمام في حالة من الإنهاك الواضح، اتخذت موضعي أنا الآخر بجلسة لا تختلف كثيرًا عن تلك، وتمنيت لو أتيح لي قسط من النوم، منذ انتقلت لهذا العالم لم أذق طعم النوم، جسدي يؤلمني وأفكاري مشوشة، أنا بحاجة إلى فصل الكهرباء عن رأسي، هذا العضو من حقه أن يرتاح ترى كيف حال من ينتظروني بالخارج، هل يحاولون إفاقتي؟ هل سأرجع يومًا إلى حياتي؟ هل هناك بالخارج من يعلم أمر هذا العالم؟

وقعت عيني على الباب وأخذت أفكر هل ستلحق بنا المرأة، هل ستسعفها شجاعتها في اللحظات الأخيرة لتجتاز التحدي أم سيخونها الوقت وينتهي من بين أيديها لتبقى داخل ألعاب النوم إلى ما لا نهاية إلا بموتها في عالمنا، بداخلي تمنيت أن تجتاز تحديها وتنجز مهمتها، وظللت أردد داخلي:

- الآن سيفتح الباب، الآن ستنضم لنا.

ولكن الوقت يمر دون جديد حتى أصبح أمر نجاتها مستبعد، ألهذه الدرجة يمكن لمخاوفك أن تقضي عليك؟ أن تلقي بك في الجحيم رأسًا؟ شعرت بالغصة داخلي كلما تأكد فشلها، أيمكن أن ألقى هذا المصير، البقاء هنا إلى الأبد؟

لا يوجد عقاب بهذا الشكل المروع، حتى السجن المؤبد في عالمنا قد يهون بوجود من حولك، قد يهون ببقاء الأمل في انتهاء الكرب يومًا ما، كذلك حكم الإعدام ينهي معاناتك بشكل جذري.

انعقدت ألسنتنا بحقًا عن الراحة وكذلك لإزالة التوتر المتصاعد، لم يعد الكلام يجدي ولا يبث طمأنينة ولا يمنح سكينة، إنه مجرد وسيلة لتمضية الوقت، ومع ذلك نشأ بيننا نوع من الألفة جراء مرورنا بهذه الألعاب معًا، ربما تهون مهمتك أمام مهام الآخرين، ربما تشعر بأنك لست البائس الوحيد في هذا العالم.

بدأت تنمو في رأسي فكرة، يرويها حنيني إلى عالمي القديم البائس، ولكن رغم بؤسه، تبدو فيه الأمور واضحة، معطيات ونتائج، دوافع وأسباب، ليست الأمور مبهمة والمستقبل محفوف بمخاطر مجهولة كما هو الحال هنا. أظن أننا هنا نعاقب على إثم ما، ذنب ما.

لم أستطع الصمت أكثر من ذلك وتوجهت إلى أكبرنا عمرًا لأسأله:

- هل وصلت إلى نتيجة واضحة؟ هل عرفت لماذا نحن تحديدًا هنا؟

- هل يهم ذلك حقًا؟ هل سيشكل فارقًا في مصيرنا؟

- لا أعرف، ولكن أريد أن أفهم.

- قبل أن أجيب عليّ أن أسألكما، هل أنتما مستعدان للاعتراف؟

سؤاله هذا جعل الضخم ينتبه إلى حديثنا ويوجه نظرات متشككة نحونا.

كرر العجوز صيغة السؤال بشكل آخر موضحًا:

- هل أنتما مستعدان للاعتراف بأكبر خطاياكما؟

أعقب سؤاله صمت مدوٍّ وكأنه انتزِعت أرواح الجميع.

- خطايانا كثيرة، هل تظن نفسك أحد الملكين لتحاسبنا؟

قالها الضخم بتهكم بين على العجوز الذي أجابه:

- بالطبع لا، لست في وضعية أفضل لأحاسب أحدًا منكما، ربما أكون أكثركم ارتكابًا للخطايا على الأرض، كما أني سأعترف أمامكما، إذا قبلتما ذلك.

فقلث بسرعة:

- إذن أنت تأكدت من فرضيتك؟

- نعم بنسبة كبيرة، وإجاباتكما ستقطع الشك الضئيل الذي يساورني؟

- أنا مستعد؟

قلتها دون تردد.

حين لم تصل إلينا إجابة من قاطع أذنه قال العجوز:

- هل أقدمتما على القتل؟ جريمة واحدة على الأقل؟

برغم من كل المقدمات السابقة، إلا أن طرح السؤال بهذه الصيغة المباشرة جعلني أجفل، ولم يعقب الرجل الضخم.

فقطع العجوز صمتنا:

- أنا ارتكبث جريمة قتل، وهذه أكبر خطيئة في عمري، لو أني أعاقب على إثم فهذا أكبر آثامي، أريد أن أتأكد وأنتما ستؤكدان أو تنفيان هذه الفكرة لدي.

بعد هنيهة من الصمت، قال العجوز:

- من كان منكم بلا خطيئة فليرجمنا بحجر، نحن أبناء قابيل القاتل، القتل خطيئتنا الأولى، أنا أيضًا قتلت فتاة في رقة الورود وجمال الفراشات وأعمارها، كنت أقود السيارة مخمورًا وبسرعة جنونية فصدمتها، قتل غير عمد، لكنه يبقى قتلًا.

- ألهذا نحن هنا؟

قلتها مضمنًا اعترافي بهذه الجريمة.

لسنا بحاجة إلى سماع رأي ثالثنا، صمته يقول ما لا يقوله لسانه.

الآن على الأقل عرفنا لماذا نحن هنا.

من جديد جاء الصوت الذي لا يحمل شفقة ولا ضغينة، لا يلوم ولا يسخر، لا يشمت ولا يهزأ وهو يردد:

- أهلًا بكم في مرحلة جديدة ومستوى جديد في أرض الألعاب، ولكن لدي لكم بعض الأخبار المهمة، أولًا حان وقت فراقكم، مهماتكم القادمة سيخوضها كل منكم منفردًا أعلم أن هذا صعب ولكنكم لم تأتوا إلى هنا لتكوين صداقات، أما ثانيًا فأحدكم قد اقترب من العودة إلى عالمه، تهانئنا له، لقد حصلت على فرصة جديدة لا يحصل عليها كثيرون، أحسن استغلال الباقي من عمرك!

حين أنهى هذه الجملة بالتحديد داعبنا الأمل وامتلأت صدورنا بهجة، لا أدري كيف، رغم حزني على فراقهم جميعًا ولكني سعيد، هناك من سيعود إلى حياته، لعالمه، هناك من سيتخلص من هذا الكابوس، ربما أنا من اقتربت عودتي لماذا لا؟ كدتُ أطير من السعادة لهذا الخبر.

ثم واصل صاحب الصوت المحايد:

- على أحدكم التقدم الآن للخروج من الغرفة ومعرفة اللعبة القادمة؟

لا أحب كلمات الوداع ولا أحسن صياغتها، لذا اكتفيت بالتلويح بيدي وقد قررت أن أكون أول المتقدمين هذه المرة.

بنظرة يملأها الود ويسكنها الحزن لوحا لي هما أيضًا، بينما أنا يقودني حماس غير معهود إلى الغرفة القادمة.

لم يطل انتظاري في الغرفة الجديدة فسمعت الصوت يتحدث قائلًا:

- كفانا لعبًا في الغرف المغلقة، ماذا لو انطلقنا بعيدًا في لعبة جديدة حيث ضوء النهار وملامسة أشعة الشمس؟

ثم صمت الصوت قليلًا وكأنه في انتظار إجابتي، لم أحسب هذا ممكنًا، لذا تلعثمتُ قليلًا وأنا لا أدري ما أقول وما يجب عليّ قوله ولكني لم أستطع كتمان هذا السؤال في صدري.

- هذا أفضل. هل أنا من اقترب من العودة إلى عالمه؟

- أنت متعجل قليلًا، لست أنت.

يبدو أن أمامي بعض التحديات الجديدة، لا يمكن القول إن إجابته صدمتني ولكن هناك أمل أدار لي ظهره وأنا لا أملك سواه مُعينًا في هذا العبث.

وكأنه يقرأ ما يدور في ذهني قال:

- ليس عليك سوى مواصلة الفوز، هذا هو سبيلك إلى العودة.

- ما هي اللعبة القادمة؟

- هل استخدمت الألعاب الإليكترونية من قبل؟

- لا، لم أفعل إلا مع بعض اللعب البسيطة.

- حسنًا، تحديك القادم هو بداخل لعبة، بمجرد خروجك من هذه الغرفة وعبور الباب الذي أمامك، ستتحول إلى مجرد بطل إحدى الألعاب الإليكترونية، لك نفس هيئتهم، نفس شكلهم، نفس حركتهم، سيكون وجهك أقرب لمجسم، هذا لن يعوقك عن إتمام مهمتك، تذكر منذ انتقالك إلى أرض الألعاب أنك لم تحصل على جسدك، جسدك ما زال موجودًا في عالمك، ولكنك تتصور وجوده، تؤدي نفس حركاته، تشعر بآلامه ولا ينقصك منه ناقصة، كذلك الوضع في اللعبة القادمة، ستكون أنت اللاعب وبطل اللعبة، ولكن تذكر لك ثلاث محاولات فقط، في حالة خسارة أي واحدة منها ستبدأ من جديد، في حالة استنفادك لكل المحاولات، ستبقى في عالمنا هنا إلى الأبد أو بمعنى أدق حتى تحين ساعتك وتصعد روحك إلى السماء في عالمك، لكنك لن تكون اللاعب، ربما تتحول إلى بطل اللعبة في حكاية شخص

ما وهناك من يحركك ويتحكم في كافة أفعالك، لذا تمهل، لأنك في حالة فشلك ستظل موجودًا داخل اللعبة إلى الأبد تنتظر المستخدم الذي يستخدمك في اجتياز المهام وربما ما هو أسوأ، الخسارة هنا فادحة.

أصابتني كلماته بالغم وكأنه مكتوب على الجميع هنا أن يسير على الزجاج. فقلت في استسلام ويأس:

- وما هي المهمة داخل هذه اللعبة؟

- عليك أن تكشف ذلك وحدك فور ولوجك، سيكون معك عدد من الأسلحة للمساعدة في إنجاز مهمتك، هيا تقدم، ولا تضيع نفسك إن أردت العودة!

لم يكن هذا التحدي مؤلمًا كاللعبة الأولى التي اضطررت فيها إلى قطع إصبعي وليس مخيفًا لدرجة مواجهة فأر بحجم القط يصيب منظره بالتقزز، ولكن التحدي هذه المرة مشوب بالغموض، لا أعرف ماذا عليّ أن أواجه، وما هي مهمتي تحديدًا.

على أي حال تقدمث لأفتح الباب وأعبر نحو التحدي القادم.

كأني خرجت إلى الغابة، كانت الأشجار متباينة الطول بانتظاري، واللون الأخضر يسيطر على المكان أكثر، والسماء زرقاء زرقة صافية كأننا في يوم مثالي من أيام الربيع، الطيور متعددة الأشكال والأصوات تحلق وتغرد في سعادة بصوت يرن في الأرجاء، لا يمكن إخفاء سعادتي بالمشهد الأول، فقد ذكرني كثيرًا بعالمي، الألوان لها بهجة خاصة وللحقيقة كانت هنا ناصعة ساطعة، تشعر للوهلة

الأولى وكأنها حقيقية، ولكن مع التركيز أكثر يتبين لك قوة التأثيرت البصرية هنا وهي تقدم واحد من أروع عروضها، حتى هوليود بكافة إمكانياتها ليس باستطاعتها تقديم مثل هذا المشهد، ولكن القلق تسرب إلى نفسي حين مددت يدي على استقامتها وأنا أتمعن فيها، شكلها يوحي كأني تمثال من شمع بثت فيه الحياة، كان لخطواتي صوت والتفتاتي صوت ولأنفاسي المتلاحقة صوت، بعد بضع خطوات وجدث شاشة تعلو جدار مبنى مكون من طابق واحد، هذا المبنى ليس له باب ولم أعرف له مدخلًا، بينما الشاشة يعلوها تندة من أخشاب متعرجة يغطيها نباتات وفروع أشجار تعوق وصول الضوء الساطع إليها، على يمين الشاشة هناك بعض الأيقونات كبيرة الحجم والصور وقائمة من الاختيارات (عرض – أدوات - تأثيرات – ابدأ اللعب).

قمت بالضغط على كلمة عرض لتظهر لي عديد من صور، الصور تخصني وحدي أبدو فيها كمانيكان بديع التصميم من زوايا مختلفة في أوضاع متعددة ممسكًا بأدوات مختلفة، مرة سكين أغرزها في صدر أحد الملثمين، ومرة بندقية أحاول التصويب بها ولكن الهدف غير محدد، مرة كاميرا تقرب الأشياء، ومرة أهرول بينما هناك حبل في يدي، تبًا هل علي استخدام كل هذه الأدوات، أم علي الاختيار فيما بينها؟ ثم ضغطت على كلمة أدوات لتتبدى أمامي عدة أدوات مختلفة تتماوج ما بين سكاكين وخناجر وأسلحة نارية، مسدسات وبنادق ورشاش هناك أيضًا حِبال وخُوذ، ضغطث على صورة البندقية باعتبارها أشمل في الاستخدام فإذا بباب معدني صغير مستطيل الشكل أسفل الشاشة يفتح ليُلقى بشكل سريع بندقية

تماثل تلك الموجودة في شاشة العرض، مسكتها بيدي وأنا أقلبها يمينًا ويسارًا، وأفحصها لأتبين مدى قدرتي على استخدامها. ثم ابتعدت قليلًا عن الشاشة بخطوات وئيدة.

أتلفت حولي في كل اتجاه، لا أعرف من أين سيأتي الخطر، لست هنا للتنزه، هناك خطر، هو قادم ولكن لا أعرف كنهه، هناك ما يتحرك على الشجر بسرعة تخطف البصر، أمعنت قليلًا، نعم هناك حيوانات لها أجساد القرود ووجوه الغزلان، لم أر في حياتي شيء كهذا قطُّ، مستبعد أن تكون بالغة الضرر، عبرت هذه المنطقة الشجرية فوجدت أني في وسط دائرة عشبية كبيرة، هنا سمعت صوت أوراق جافة تتهشم فالتفت لأجد ذئبًا أبيضًا غزير الفراء في انتظاري، عيناه البنية مسلطة عليا ونظرة ثقة بانت على وجهه وكأنه كان في انتظار طويل لوجبة شهية، تحسست البندقية في يميني وأنا أرفعها ببطء، ما هذا؟ نظرته مليئة بالاستهزاء، بسرعة حاولت توجيه فوهة البندقية إليه ولكن حركتي البطيئة لم تُجاري سرعته فوثب على صدري ليطرحني أرضًا بينما البندقية سقطت من يدي، أخذ يدور حولي وقد شل الرعب جسدي، حين غرز أسنانه في فخذي كان الألم لا يطاق، لأسقط في غيبوبة غير معلومة المدة. وأفقد معها أولى محاولاتي في هذه اللعبة.

(١٥)

العجوز وهاني أيوب

لم يصدق (العجوز) نفسه حين عاد وعيه بعد طول غياب، صحيح أنه عاد مصابًا في ظفره المنزوع الذي شكل لغزًا للأطباء ولم يجدوا لذلك تفسيرًا ولكنه عاد، وهو وحده من يفهم سر هذه الإصابة الذي يستحيل تصديقه من الآخرين.

حين رأى الأشياء التي اعتاد رؤيتها واستنشق الهواء الذي تعرفه رئتاه، حين لمح أبناءه الذين ظن أنه لن يراهم مرة أخرى، أضحت حياته حلم جميل يعيشه الآن بين أهله وقد نجا مرتين، مرة من ألعاب النوم والعالم الذي قرر أنه لن يروي ما رآه هناك لمخلوق، ونجا من عملية جراحية دقيقة بالقلب، لم يتذكر أنه كان أسعد حالًا في حياته من تلك اللحظة. الجميع حوله يحتضنه، الجميع يبكي من الفرحة، لحظة لا مثيل لها في سنوات عمره التي تخطت الخامسة والخمسين، ولكن هناك مهمة أخيرة عليه القيام بها، سيقوم بدور رسول حامل لرسالة سرية وعليه تسليمها للمرسل إليه بعد أن يستعيد عافيته.

أخبره الأطباء بنجاح العملية بعد أن أوقع قلوبهم حين توقف قلبه بعض الوقت، قبل أن يعاود نشاطه من جديد بعد محاولات حثيثة من جانبهم، التفاصيل لا تهمه كثيرًا ولا تشغل باله، الأمر الأهم أنه عاد إلى عالم جميل لا تعرف قيمته إلا بعد أن تشهد عوالم أخرى معدومة البهجة، لا يسكنها الأمل، عسيرة الاختبارات، حتى لتبدو اختباراتك وابتلاءاتك هنا وسائل ترفيه وتسلية ليس أكثر مقارنة بما

شهده في عالم مجنون.

جسده يستجيب للعلاج ويتحسن تحسن بطء لكنه منتظم، بعد يومين طلب من ولده الأكبر أن يصطحبه إلى عيادة طبيب شهير، فلبى الولد طلب أبيه وقام بالحجز لدى الدكتور (هاني أيوب)، خمن الولد أن أباه يريد الاطمئنان أكثر على صحته وهذا حقه، في الموعد المحدد تحرك الاثنان نحو المستشفى التي يعمل بها الدكتور وسددا ثمن الحجز الخرافي. وانتظرا دورهما.

في أثناء الانتظار جلس الرجل المسن يستعيد لحظاته الأخيرة في أرض الألعاب والصوت المحايد يحادثه:

- حانت اللحظة التي تفارق فيها هذا العالم، الآن لا يسعنا سوى التهنئة؟

- لن أخوض تحديات أخرى، هل هذا حقيقي؟

- نعم، انتهى وقتك هنا.

- تحديان فقط، لعبتان؟

- هل تريد خوض المزيد أيها العجوز؟

- كلا بالطبع، خفت أن أبقى هنا إلى الأبد.

- ما دمت تفوز فلن تبقى هنا إلى الأبد.

- والآخرون، هل سيستمرون في التحديات؟

- وما شأنك بهم، ما زال أمامهم خوض ألعاب جديدة.

سحابة غم أصابت العجوز وهو يأسى لحالهم، لكنها لم تنسه فرحته بالنجاة من هذا العالم، ورغم ذلك لم يستطع أن يبلع فضوله.

- جئت هنا لأني قتلت؟

- نعم لهذا السبب.

- ورفقائي أيضًا أزهقوا أرواحًا، أليس كذلك؟

- بلى فعلوا، لماذا تسأل؟

سكت العجوز ولم يجب، خشي أن يجلب له فضوله ما لا يُحمد عقباه، ورغم ذلك لم يحتج للحديث، لأن الصوت يبدو أنه فهم ما يرمي إليه دون أن يتفوه به فأوضح للعجوز:

- كل منهم له جريمته، لكن لن يتساوى القتل الخطأ بالقتل العمد، لن يتساوى القتل مرة واحدة مع قتل أكثر من مرة، أفهمت أيها الرجل، لماذا خرجت قبلهم؟ أنت لم تخطط لتقتل.

- نعم فهمت.

- قبل أن تخرج هناك رسالة موجودة في جيبك، ستسلمها للاسم الموجود على الورقة.

أخرج العجوز الرسالة من جيبه وقرأ الاسم لكنه لم يعرف من هو فقال صاحب الصوت:

- ابحث عنه وسلمه الرسالة!

- ولكن الرسالة خاوية؟

- حين يقرأها لن تكون كذلك، لا تتأخر في تسليمها!

هذا هو حديثه الأخير في هذا العالم وهو هنا للقيام بآخر ما يربطه بالعالم الذي غادره.

حين أتى دوره طلب من ابنه أن ينتظره بالخارج، فتعجب الابن من هذا الطلب ولكنه أمام إصرار والده رضخ لذلك، أوصله حتى الباب وجلس ينتظره في الخارج.

بنصف ابتسامة روتينية مكررة استقبله (هاني أيوب) متسائلًا عن شكواه، فأجابه:

- لا شكوى، لم آتِ هنا من أجل الكشف، لدي أمانة لك أريد توصيلها فقط، ولم أستطع لقاءك سوى هنا.

اندهش (هاني) من كلام هذا الرجل الذي لم يسبق له معرفته ولا صلة تربطه به من قبل فسأله بعدم اهتمام:

- أي أمانة؟

فأخرج العجوز من جيبه الرسالة وسلمها لهاني وكأنه يتخلص من حِمل ثقيل وهم بالخروج من الغرفة ببطء، بينما ألقى هاني الرسالة على المكتب بعدم اكتراث وهو يتعجب من فعل البشر، ربما يريد مساعدة منه، ربما يريد مبلغًا من المال، لم يفهم بالضبط نوايا الرجل، وهو لا ينتظر رسائل من غرباء أو معارف، وبدافع الفضول وحده، قليل من الفضول الغير مصاحب لأي حماس فتح الرسالة ليقرأها فقطب حاجبيه اندهاشًا وهو يقرأ ثم ما لبث أن هب واقفًا مثل عمود، ثم ترك الرسالة على المكتب قبل أن يُسارع إلى باب الغرفة

ليفتحه على عجل وهو يحاول اللحاق بالرجل الذي غادر لتوه في مشهد آثار حفيظة الجالسين جميعهم، لم يكن الرجل قد ابتعد كثيرًا بصحبة ابنه، عاد العجوز من جديد بناءً على إلحاح (هاني أيوب) وهمّ هاني بمساعدة الرجل ليجلسه أمامه على المكتب وهو يسأل بنهم:

- كيف وصلت إليك هذه الرسالة؟

- لا يهم ذلك، ولكن المهم أني سلمتها لك وهذا هو المطلوب.

غيّرَ (هاني) لهجته كثيرًا وهو على استعداد للتوسل إلى الرجل ليعرف من هو وكيف حصل على هذه الرسالة، لكن الرجل فعلًا غير مهتم على الإطلاق بمنحه أي تفسير وقد انقلبت الآية قي دقيقة بين مشاعر الرجلين تجاه بعضهما بعضًا.

فبادر (هاني) بسؤاله بشكل مراوغ:

- هل كنتَ هناك؟

تردد العجوز قبل الإجابة ثم صدّق على كلامه بابتسامة آسفة. فسأله هاني من جديد:

- هل توقف قلبك من قبل؟

فاندهش العجوز من معلومات الطبيب فأجاب بنفس الطريقة السابقة، وكلاهما يتعمد عدم الحديث صراحة عن ألعاب النوم ثم تكلم العجوز مجددًا:

- هل كنت هناك أنت أيضًا؟

- لا لم يحدث.

- إذن كيف عرفت كل هذه المعلومات؟

لا مجال ليعطيه الحقيقة الآن فقال وهو يتهرب منها:

- أنسيت أني طبيب أقابل عشرات الحالات ممن يعانون أمراضًا مختلفة في القلب وعدد قليل منهم يتوقف قلبه فجأة، أرجوك أخبرني كيف هو الوضع هناك؟

- بشع لا يطاق.

- صفه لي من فضلك!

- أشنع من أسوأ كوابيسك.

وضح على العجوز عدم الرغبة في مزيد من الكلام فاحترم (هاني) رغبته، شكره بحرارة وقد تفهم مرارة التجربة التي مر بها هناك. فودعه وانصرف.

ثم جلس على المكتب وقد طلب من مساعدته عدم إدخال أي مرضى وأعاد قراءة الرسالة من جديد.

«نشكرك دكتور هاني على خدماتك الجليلة، العقار الذي صنعته كان بمنزلة جسر قصير بين العالمين، بسببك تمكنا من استضافة عدد كبير ممن أجريت عليهم تجاربك، خاضوا سباقات واجتازوا تحديات متنوعة منهم من فاز ومنهم من خسر، لذا ندعوك لزيارتنا قريبًا في أرض الألعاب مُشاهدًا أو لاعبًا، لك الاختيار، علمًا بأنه ينطبق عليك أحد شرطين للوصول إلى عالمنا، فأنت قد قتلت عددًا لا بأس به من

الرجال، بقي الشرط الثاني وهو ليس عسير، فقط أن يتوقف قلبك لقليل من الوقت وأنت صاحب العقار الذي يمكنه ذلك، نراك قريبًا في ألعاب النوم».

كرر في نفسه وهو يستخلص الحقيقة، الوصول لهذا العالم يستلزم أمرين:

- ارتكاب جريمة قتل.

- توقف عضلة القلب.

يبدو أنه قد أخضع للتجربة عددًا من القتلة هؤلاء هم من زاروا هذا العالم، أما الآخرون الذين سقطوا في غيبوبة وتوقفت قلوبهم ولم يتذكروا أي شيء يخص هذا العالم فقد نجوا منه، فلم ينطبق عليهم الشرط الأول فكانوا في نوم عميق.

لا يمكن وصف شعوره الآن من الرعب ولكن هذه الدعوة المباشرة أرهبته كما لم يرهبه شيء من قبل.

وظل يفكر في الرسالة وهو يردد في دهشة:

- ألعاب النوم، ألعاب النوم.

(١٦)

علاء عبد العزيز

من جديد عاد وعيي أمام شاشة العرض، كما يبدو فقدت واحدة من المحاولات الثلاثة، وكما هو واضح فقد فقدتها مبكرًا جدًا، حتى أني لم أعرف الهدف الذي ينبغي تحقيقه، البندقية لم تجدِ نفعًا، لستُ مُدربًا بشكل جيد، عدت لشاشة العرض، هذه المرة اخترت بندقية وسكينًا حادًا سيكونان أكثر نفعًا في حال تكررت المواجهة السابقة، دسستها وراء ظهري بداخل حزام ملفوف بإحكام حول خصري، عدت أدراجي من جديد إلى نفس الطريق وأنا أهيئ نفسي لذات المواجهة السابقة، ولكن لمفاجآتي كان هناك رجل بانتظاري في منتصف الطريق الشجري، تخفيت وراء شجرة ولكن يبدو أنه قد رآني لأنه قد اقترب وهو يغرز سكينًا تفاديتها في اللحظة الأخيرة، قبل أن يطعن بها ثانية لأتفاداها مرة أخرى، ثم هجم مرة ثالثة بكامل جسده ليتلقى ضربة موجعة بقبضة يدي في أنفه سمعته يتألم على إثرها فأعقبتها بضربة مماثلة ثم طرت بحركة مزدوجة من قدمي لتسقط سكينه على الأرض، وبسرعة التقطت سكيني لأزرعها في صدره بينما نهر من دم أحمر يجري أمامي، انتصار أول لي في هذه اللعبة، قبل الوصول إلى دائرة العشب تباطأت خطوتي، انتظرتُ قليلًا، ولكن لم يأتِ الذئب هذه المرة، تقدمت ببطء وأنا أرسم في ذهني خطة المواجهة القادمة، توقعت ظهور الذئب الأبيض في أي لحظة ولكني كنت على موعد مع نمر أسود مهيب الطلة ذي عينين خضراوين عاكستين للمعركة اليسيرة له التي تدور في عقله،

متناسق العضلات، هو أضخم من المعتاد، اسمن من أي نمر رأيته في حياتك، رأيته قادمًا من مسافة ثلاثين مترًا، ثم اقترب بينما أنا أتراجع إلى المنطقة الشجرية من جديد، لم أجد أن استخدام السكين أو البندقية سيفيد في تلك المواجهة فعدت مهرولًا نحو الشاشة، وأنا أعدو بأقصى سرعة وأتلفت في خطفة عين إلى الوراء، لا أريد أن أفقد محاولة أخرى هنا، دلف النمر ورائي إلى منطقة الأشجار المتقاربة، ثم أخذ يعدو ببطء في البداية وحين لاحظ هلعي زاد في سرعته، كنت بحاجة لمسدس يمكن استخدامه بشكل أسرع وأسهل، تجاوزت المنطقة التي بدأت منها وجذوع الأشجار وسوقها تنتشران حولي بكثافة، والنمر يقترب أكثر وأكثر، قدماي ترتجفان وقلبي يقرع كالطبل ثم فجأة وجدت ما يشبه حمام سباحة فوجدت نفسي مضطرًا إلى القفز فيه ولكن صدمة ملامسة جسدي للماء تحتاج صفحات وصفحات، فآخر ما كنت أتوقعه أن يكون الماء مثلجًا إلى هذه الدرجة، لم أجرب هذا الإحساس من قبل، ولكن جسمي يسقط إلى الأسفل من شدة القفزة بينما عقلي يحثني على الصعود ثانية، هكذا سأموت متجمدًا، سقطت مثل فأر صغير سقط من ارتفاع كبير في جوال من الدقيق، يدى تصارع جليد سائل ثقيل للغاية ولكني أحاول، ريح باردة تعصف بعظامي، لو أن هناك دمًا يسري في أوردتي فهو في طريقه للتجمد لو ظللت ساكنًا، بسرعة طفوت على الماء ولكن رعشات متتالية تزلزل كياني من الداخل، جليد حارق له لسعة لا توصف ورجفة لعينة لا سبيل لإيقافها، جلت ببصري فإذا بالنمر يرمقني بعيون ثابتة خالية من المعنى، بتؤدة مد قدمه إلى الماء ولكن سرعان ما أخرجها بعدما غمرته برودتها وحاول نفضها عدة

مرات في الهواء طلبًا للدفء أو للتخلص من بقايا مياه جليدية عالقة بقدمه، دار حول المغطس دورتين بينما جسدي يرتج ويترجاني أن أخلصه من هذا الزمهرير القاتل، بينما أنا أخيره بين الموت متجمدًا وبين الموت افتراسًا بين فكي النمر، خيارات مقيتة هي كل ما لدي هنا، ولكني فضلت الموت في هدوء هنا في هذه الوضعية الهادئة، ميتة سريعة لا صخب لها ولا نزيف، ميتة تليق برجل مات وهو يحاول الخروج بأقل الخسائر الممكنة لكرامته وجسده، القوة الوحيدة الآن تكمن في رأسي الطافي، أنا على وشك فقدان فرصتي الثانية، لمحت هذا الحيوان يبتعد قليلًا عني وقد شعر أني هالك وهو لن يقدم بحال من الأحوال على حماقتي بالقفز في الماء المثلج هذا، حاولت التحرك جاهدًا في الماء رغم التصلب الذي شل أطرافي حتى وصلت إلى الحافة لكني لا أجد الطاقة الكافية للصعود، حاولت رفع جسدي وأنا أخشى أن يعود هذا النمر من أي اتجاه، بصعوبة رفعت يمناي حتى تحررت قليلًا من الماء، ثم ضغطت أكثر لأرفع الأخرى، لا يمكن وصف الألم الذي أشعر به، ووعيي ينسحب، لا أريد أن أموت الآن، لا أعرف كم مر من الوقت ولكني وقفت على قدمي أنظر حولي أخيرًا، لماذا لا أجرب هذا الاتجاه المعاكس؟ بالفعل واصلت حتى وجدت منزلًا فخمًا أنيقًا على بعد مائة متر تقريبًا، اقتربت منه.

بسرعة تفقدت جميع الاتجاهات، كانت الحراسة حوله مكونة من عدة رجال تبدو عليهم القوة ولكن لهم نفس اللمعة والحركة غير المريحة على الإطلاق، ابتعدت في الاتجاه الخلفي، يجب عليّ العودة للحصول على أسلحة عوضًا عن تلك التي سقطت معي في

الماء، أخذت عددًا من الأسلحة السابقة وأضفت عليها مسدسًا كاتمًا للصوت، عليّ أن أتخلص من هؤلاء واحدًا تلو الآخر في هدوء، استعدت بعضًا من نشاطي وقد شعرت بأنه يجب عليّ دخول المنزل، لا أعرف السبب ولكن هذه الحراسة وهؤلاء الرجال لن يوجدوا حول المنزل إلا لو كان له أهمية خاصة داخل هذه اللعبة، وضعت أصبعي على زناد المسدس وحاولت التصويب نحو أحد الأهداف، كان طائرًا متوسط الحجم له منقار ملون، لم أعرف اسمه ولكنى صوبت عليه في اختبار لمهارتي على الرمي، سقط أمامي وكدت أصرخ في حماسة من فرط الفرحة، كل ما أنويه الآن التصويب على هؤلاء الرجال وإصابتهم بشكل مباشر مع الحرص على ألا ينتبه الآخرين إلى وجودي وسطهم، بالفعل بدأت بالفُرادى، اتخذت مسافة كافية تسمح لي بتصويب دقيق، نجح الأمر وأسقطت عددًا من الرجال الأشداء، ولكن الذخيرة تنفد، عدت إلى شاشة العرض وأنا أطلب مزيدًا من الأسلحة، أحتاج إلى حقيبة لجمع كل الأغراض، لحسن طالعي كانت بين الاختيارات موجودة، ألقيت أمامي فجمعت فيها ما استطعت من أسلحة وأدوات وحبال ووضعتها على كتفي. عدت في نفس الاتجاه والحماسة تغمرني ولكني لم أجد رجلًا واحدًا ممن كانوا موجودين من قبل. أين ذهبوا؟ درتُ حول المبنى ولم أعثر على واحد منهم، انفتح باب المنزل وخرجت منه فتاة فاتنة ترتدي جينزًا أزرق وبلوزة بيضاء، شعرها قصير بلون ذهبي، لكنها كانت تتلفت في كل اتجاه، هل هي مثلي تبحث عنهم، بدت لي من مسافة عشرين مترًا لا تشكل خطرًا، لو أن ثمة خطرًا بيننا فأنا من يمثل خطرًا عليها، اقتربت منها كاشفًا عن نفسي، حين وقع بصرها عليّ قابلتني

بابتسامة آسرة لم أعرف سببها، لم يعد يفصل بيننا سوى متر واحد، قالت بدلال حرك مشاعري:

- أنت أيضًا تريد الفوز؟

فرددت على الفور:

- بكل تأكيد.

ثم فوجئت برد فعلها اللا متوقع وهي تحيط رقبتي بذراعيها الرقيقين الناعمين وتقول في همسٍ مثير:

- ألم تشارك في لعبة واحدة طوال حياتك؟

- لماذا تسألين؟

- لأنك لم تتعلم قطُّ.

ثم أشارت بسبابتها إلى أعلى فوجدت أحد القناصة يوجه سلاحه نحوي، لو أطلق رصاصته الآن حتمًا ستسقط في فمي الذي انفغر اندهاشًا لفرط سذاجتي.

بينما الفتاة تقترب في أذني وهي تهمس:

- نصيحة لك، لا تأمن لفتاة محررة في أي لعبة، ولا تحنِ رقبتك لأي حبل يريد تطويقها.

قبل أن يدوي صوت رصاصة تطيح برأسي في اتجاه عكسي.

تبًا لحماقتي لقد أضعت محاولة ثانية والآن جاء دور المحاولة الأخيرة، لا داعي لذكر نفس التفاصيل، ولكنى هذه المرة إما حيًا

وإما ميتًا، أكره أن أبقى داخل اللعبة إلى الأبد، هذه المرة لا تهاون، لا سذاجة ولا تراخٍ أو استسلام، ارتديت الخوذة ووضعت السكاكين حول خصري وحبل حول كتفي بينما الحقيبة معي زاخرة على كتفي اليسرى، في طريقي إلى المنزل كنيف الحراسة وقفت أمامي سيارة جيب جاءت قادمة بسرعة الصاروخ في لحظة رميت الحقيبة وأعددت البندقية، وجهتها نحو السيارة، أفرغت طلقاتها في الزجاج الأمامي للسيارة وعجلاتها الأمامية، لم أمنح قائدها وقتًا لأن رصاصة حفرت حفرة صغيرة حمراء في جبهته، كان هذا إيذانًا بدق طبول الحرب حولي، وجدت مجموعة من الرجال تخرج من باب هذا المنزل، قمت باصطيادهم بالمسدس الـ٩ مللي في يميني، ولكن مع تساقطهم وجدت عدة طلقات توجه نحوى من سطح المنزل أو الفيلا، احتميت بالسيارة التي قدمت لي معروفًا كبيرًا بظهورها لأن جسدي كان في طريقه لاستقبال رقم قياسي من الطلقات، مكنني هذا التستر بالسيارة بإسقاط رجل تلو الآخر بينما أنا أشهد اندفاع أحدهم خارجًا من المنزل بأقصى طاقته فوضعت جسدي على الأرض وأخذت وضع الاستعداد للتصويب، هناك سائل ينزف من جسدي، لا أدري من أي موضع، سقط أرضًا بينما اسمع صوت خشخشة أوراق الشجر، كان هناك من يتسلل مسرعًا ركزت بصري في اتجاه الصوت فكان هناك سكين طائر ارتطم بالسيارة كان في طريقه لوجهي، أصابتني الفكرة نفسها بارتعاشة، جلست من جديد أفكر فيما ينبغي فعله، هناك شخص بالأعلى يوجه رشاشًا نحوي، وفي اللحظة التي تحركت فيها بالضبط كان زجاج السيارة يتهشم تمامًا جراء قصف مكثف، أخرجت البندقية وتأكدت من حشوها

بالرصاصات، نهضت لمدة عشر ثوانٍ ونثرت الرصاص في كل مكان ثم هبطت من جديد، الخوذة تتلقى الرصاصات عني، لا بد من اصطياد هذا القناص، جمدت قلبي وثبت كتفي وأحسنت التصويب، أطلقتها وعدت أحتمي بمكاني ولكني سمعت صرخة تلقيه الرصاصة على الأغلب في رأسه، نظرت أسفل السيارة فوجدت عددًا من الرجال يتقدمون بخطى حذرة متأنية في اتجاهي، فصوبت على أقدامهم ليتساقطوا كالذباب مع تأوهات لا تنتهي، المكان حولي مكتظ بالجثث، لقد تفاعلت بشكل يثير إعجابي، ولكن حذاري من الثقة الزائدة، ليس في جعبتي فرصة أخرى للخروج إما الفوز أو الهلاك. انعدمت الأصوات إلا من صوت لهاثي، لم أجد سواي في وسط هذا المحيط، باب المنزل أمامي موارب، أخشى التقدم فأجد ما لا أتوقعه، طالت المدة، إما إنه فخ وإما أني قد أجهزت عليهم جميعًا، مشطت المكان بناظري في جميع الاتجاهات، لا يوجد سواي، تحركت وأنا متأهب لأي هجوم من أي اتجاه ممسكًا بسلاحي، كل الشواهد تدعوني إلى الدخول، دلفت إلى المنزل، أثق بأن هناك ما ينتظرني بالداخل كان المكان يغط في الظلام رغم ضوء النهار الموجود بالخارج، حتمًا هناك ستائر تمنع الضوء، حين ألفت عيني الظلام، وجدت بصيصًا منه بالفعل يتسرب، وجدت سلمًا يقود إلى أسفل، هبطت على مهل، كان هناك قاعة دائرية الشكل، وجدت في منتصفها كرسيًا وجسدًا مغطى الرأس والوجه يجلس عليه ويبدو أنه مقيد، قبل أن أخطو إليه وجدت بابًا جانبيًا يفتح لتخرج المرأة الفاتنة التي تسببت في خسارتي السابقة، كانت تصوب نحوي مسدسًا بيد وباليد الأخرى تصوب مسدسًا نحو الفتاة وقالت بلهجة

آمرة:

- ضع سلاحك وإلا قتلتها أو قتلتك.

لم يصدر عني أي رد فعل فكررت جملتها:

- ضع سلاحك وإلا...

قبل أن تكمل جملتها كانت رصاصة من بندقيتي تستقر في بطنها، لم تتوقع هذه السرعة، لا مجال الآن للتردد أو الخطأ، ثم أفرغت بجسدها عدة طلقات، فعلت كما نصحتني من قبل، حين تيقنت أنه ليس هناك من يتبعها، ذهبت إلى الجسد وحررته ورفعت الغطاء عنه، لأجدها فتاة أخرى، أشعر أني رأيت هذه الفتاة من قبل. هل هي هدير؟ أظن ذلك، إنها تشبهها تمامًا.

على الرغم من رقتها لكني لم أمنحها الوقت لتشكرني، راودني ظن بأنها قد تمثل خدعة جدية في اللعبة، ولكني لم أجد لهذا دليلًا، أسرعنا نحو الخارج، ووجدتها هذه المرة هي من تسحبني يمين المنزل، عدونا معًا ما يعادل مائتي متر قبل أن تلوح أمامي بحيرة، قبل أن نصل إلى شاطئها كان هناك زورقًا صغيرًا بانتظارنا، قفزتْ إليه وعاونتها لتستقله معي، وقبل أن تجلس منحتني جهازًا إلكترونيًا صغيرًا أشبه باللاسلكي وقالت:

- حسنًا فعلت أنك لم تتأخر أكثر من ذلك.

ثم طلبت مني الضغط على زر محدد قمت بالضغط عليه ليتجدد المشهد من حولي تمامًا وتختفي الفتاة في لمح البصر ويخبو ضوء النهار في طرفة عين ويحل مكانة نور باهت يغطي حجرة مغلقة

ففهمت أني تجاوزت هذا التحدي وجاء دور تحدٍ جديد.

(١٧)

كريم حمدي

أخبرهم دكتور (ضياء) بأنه قادم في الطريق إليهم وبحوزته نتائج رفع البصمات عن جثة القتيلة.

سادت حالة من التوتر بين الجميع، لدرجة يصعب معها التفريق هل هذا بسبب قرب اكتشاف الحقيقة أم لأن بينهم مُدانًا بالقتل؟ ينظرون إلى بعضهم بعضًا بتشكك واضح وكأنهم يتساءلون بداخلهم من منكم أيها السادة المتظاهرون بالاحترام يبطن عكس ما يظهر ولأي سبب يقتل؟ سيكون الشرح عسيرًا خاصة مع عدم عودة ذاكرتهم ليوم الجريمة، لكن على أي حال سيعرفون اليوم، أحدهم سيتحول اليوم من طبيب إلى مجرم، وأسوأ ما في الأمر أنه هو نفسه لن يعرف دوافعه وراء جريمة القتل، هذا بالطبع مع افتراض أن جميعهم صادقون بشأن فقدان الذاكرة.

قد جالت هذه الفكرة بأذهانهم منفردين على حدة من قبل، فكرة أن يكون أحدهم القاتل ويتظاهر معلهم بفقدان الذاكرة، لو صح ذلك فهو قد خطط ودبر وقتل مع سبق الإصرار كما أنه تآمر عليهم بحيلة ما جعلتهم جميعًا فاقدي الذاكرة بهذا الشكل، حتى أن (ليندا) فكرت ذات مرة ماذا لو أن هناك أكثر من أحد وراء كل ما حدث؟ ماذا لو كانت هي البريئة الوحيدة هنا؟ فكرت في ذلك مرارًا، إنها المرأة الوحيدة بينهم وليس هناك أسهل من التخلص منها مثل ما حدث مع زميلتها، لكنها كانت دومًا تدفع الفكرة من رأسها، لأن هناك أمرًا غامضًا يحوم حول الموضوع بأكمله، ويبدو لها أن دكتور

(ضياء) طرف محايد، ليس بحاجة إلى المساهمة في المؤامرة حولها تحديدًا، لو أحدهم أو جميعهم أرادها قتيلة، لالتقطت آخر أنفاسها منذ أيام.

أمر واحد خطر في أذهانهم جميعًا دون أن يتفوه به أحدهم وهو أن الفاعل لديه الوقت الآن للاعتراف أو الفرار قبل قدوم (ضياء)، كون عدم إقدام أحدهم على القيام بذلك فهو يبعث راحة محدودة بأن حتى الفاعل صادق في نسيانه للأمر برمته وكونه ارتكب جريمة القتل فإنه نفسه سيعجز عن التبرير لكن الأهم من ذلك هو ما ينوي (ضياء) فعله بالفاعل، هل سيسلمه للشرطة؟ هل سينتقم أو يعاقبه بطريقة خاصة بما أن الأمر ينطوي على كثير من السرية، هذا مخيف كون أن الفاعل قد لا يخضع لمحاكمة عادلة وأن يتلقى الجزاء الفوري الانفعالي.

تناهى إلى مسامعهم صوت السيارة بالخارج، هدير المحرك يهدأ قبل أن يختفي صوته، حانت ساعة الحسم، الجميع يترقب، وصل (ضياء) وألقى عليهم التحية التي لم يُرد عليها سوى بهمهمات لا يمكن تفسيرها. كان برفقته الرجلان ضخما الجثة ويبدوان على أتم الاستعداد للانقضاض فور أي إشارة أو شعور بالخطر. يمكنك بقليل من التفحص تمييز امتلاك كل منهما لسلاح شخصي معلق حول خصره. لن يترددا في إطلاق النار، واضح أنهما مؤهلان ومدربان على ذلك، عيونهما تشي بذلك وتصرفاتهما تؤكد أنهم متعددا الاستخدامات.

- يا سادة انتم هنا من أجل إفاقة المدعو (علاء) الراقد بأحد الغرف

العلوية، هذه هي مهمتكم هنا، كيف نسيتموها؟

الآن بدأت الأمور، لقد شاهدوا هذا الرجل بالفعل لكنهم لم يتوقعوا أنهم جميعهم هنا لأجله.

أخرج (ضياء) من جيبه مظروفًا مربع الشكل وهو يخبرهم بأنه لم يعلم إلى الآن مضمون التقرير المرسل إليه من الطبيب الشرعي. وفضل أن يعلن بينهم عن الأمر.

ثم سألهم بأداء مسرحي يحمل كثير من التكلف ولا تحتمله أعصابهم:

- هل أنتم مستعدون؟

أومأوا برؤوسهم ببطء وبنظرات أعينهم المتوجسة.

فتحه بهدوء وهو يخرج منه ورقة مثنية وشرع في قراءتها بعينيه وسط هذا الكم الهائل من الصمت الكثيف الممزوج بضربات قلب متسارعة لا تكف عن الصراخ إثر جنون اللحظة.

مع الكلمات الأولى في أثناء قراءته لم يبد أي تعبير حتى ارتفع حاجباه وجحظت عينه وتدلت شفته، كل علامات الصدمة واضحة على وجهه.

هنا صاح (يورجن):

- من فضلك تكلم، الأمر لا يحتمل كل هذا الضغط والتوتر.

فأجابه (ضياء) وهو يبتلع ريقه:

- معك حق، ولكن ما جاء بالتقرير لا يمكن تصديقه بسهولة.

فكرر (فولكوف) مقولة يورجن ولكن بسرعة وحِدة أكثر:

- إن لم تقرأ ما في التقرير بصوتٍ عالٍ الآن، سأضطر إلى انتزاعه منك بالقوة وقراءته بنفسي.

كان مرتبكًا حقيقة لا تصنعًا ولا يبغي بسط أي نوع من الإثارة فلملم شتات نفسه سريعًا.

- التقرير لا يقول أن أحدكم هو الفاعل، جميعكم بريؤون، صاحب البصمات على رقبة الممرضة هو الجسد الراقد بالغيبوبة في الطابق العلوي. من قتلها هو (علاء).

ما إن أتم جملته حتى فغروا أفواههم، ثم من دون أي اتفاق ارتقوا جميعًا الدرج مسرعين نحو الغرفة الواسعة الشاسعة المليئة بالأجهزة الطبية التي يرقد فيها هذا الرجل بسلام أقرب إلى سلام الموتى، إنه نائم في غيبوبة لا تحتمل الشك، جميعهم قاموا بفحصه بعناية والكشف عليه عدة مرات، كيف يمكن له أن يدعي ذلك طوال هذا الوقت؟ لذا كانوا جميعًا مذهولين جراء نتيجة هذا التقرير، هل هو أيضًا وراء فقدانهم الذاكرة؟

أسئلة تتكدس في رؤوسهم لا حصر لها، جميعهم اتفق على ضرورة معرفة هذا الرجل والأسباب الكامنة وراء ضرورة عودته من الغيبوبة ولإنفاق كل هذه المصروفات والصبر على هذه العقبات، ما الذي يريده رجل الأعمال الشهير من هذا الجسد بالضبط؟

يريدون أن يفهموا الأمر كاملًا الآن، وصار (ضياء) هو المطالب بالتوضيح أكثر من أي وقت مضى، لا مناص من الاعتراف بكل شيء

مهما كانت سريته وخصوصيته.

اجتمعوا معًا مرة أخرى، وهذه المرة حكى لهم (ضياء) كل شيء تفصيليًا.

بقي السؤال الأخير من دون إجابة كيف فعلها (علاء) وهو راقد في غيبوبة، بينما هم يتطلعون إلى إفاقته؟

قاموا بالكشف على (علاء) من جديد، قلبه الوحيد الذي ما زال يعمل بينما باقي الأعضاء في أجازة مفتوحة، صاح (فولكوف) فجأة:

- انظروا إلى إصبع يده، هذه الإصبع مكسورة.

اتجهوا جميعًا إلى يد (علاء) اليسرى حيث الإصبع المكسورة، بهتوا حين رأوا المشهد وبُهتوا أكثر حين عجزوا عن تفسيره، كيف تم كسره؟ وضعه غير طبيعي بالمرة، والأدهى إنه لم يكن كذلك من قبل؟ ما الذي حدث بالضبط في هذه الليلة المشؤومة، لا أحد يمكنه الإجابة.

ثم أشارت (ليندا) إلى حقنة موجودة أسفل الفراش لم ينتبه لها أحد من قبل، أخرجت ليندا منديلًا قبل التقاطها، ثم اتسعت عيناها رعبًا، وهي ترفعها في وجه زملائها قبل أن تقول:

- أظن أن ضحيتنا هي من كادت تحقن (علاء)، انظروا معي إلى الجرعة، لو غرزت هذه الحقنة في جسده لكان الآن مجرد جثة لا روح فيها.

فسألها يورجن:

- ماذا تقصدين؟ هل قتلها دفاعًا عن النفس؟

- ربما قتلها قبل أن تقتله.

اتفقوا على مواصلة العمل من جديد مع ضرورة متابعة كاميرات المراقبة المركبة حديثًا داخل الفيلا لمتابعة ما يدور بداخلها ليلًا ونهارًا.

عاد (كريم) لغرفته وهو يراجع ذاكرته مرة تلو الأخرى فلا يجد أي مشهد يجمعه بالشاب المريض، هل يعقل أن يكون هو من وضعه داخل الصندوق ما دام هو القاتل للمرضة؟

عاد إلى الملابس التي كان يرتديها وقت الحادثة، هل يطلب من دكتور (ضياء) رفع البصمات من عليها، ليعرف من المتسبب في كل ما أصابه من أذى، وبينما هو يقلب ملابسه بين يديه، سقطت منها ورقة بيضاء مطوية مرتين، فتحها بهدوء وهو يقرأ ما هو مكتوب بخط يدوي واضح بينما دقات قلبه بلغت عنان السماء.

- الحل لدى دكتور (هاني أيوب).

بعد قليل اطلع جميع الموجودين على الرسالة، هذه المهمة لا تخضع لأي منطق، إنها أغرب ما واجهوا جميعًا، بات (ضياء) محل أنظارهم جميعًا، وهم ينتظرون منه التوضيح فأجابهم:

- أتظنون أني لم أحاول ولكنه رفض التواصل ويرفض المساعدة أكثر من ذلك.

فرد عليه (كريم):

- امنحني فرصة مقابلته، لقد كنت على وشك الموت في سبيل هذا الأمر، ووجود الرسالة معي بعد كل ما أصابني لا بد أن له دلالة ما.

- تأكد أن ليس لدي مانع في ذلك ولكن ينبغي الرجوع إلى (مروان خليل) في هذا الشأن.

- خذ وقتك فأنا أنتظر ردك.

(مروان خليل) لا يهمه سوى عودة (علاء) إلى وعيه، بذل الغالي والرخيص في سبيل ذلك، فما يضيره من محاولة (كريم)، لذا رحب بها وهو يتمنى لو قابله بنفسه ودفع له ما يريد في سبيل المساعدة.

انطلقت السيارة الإم جي الزرقاء بسائق خاص يصطحب (كريم) في زيارة لمنزل (هاني أيوب).

في فيلا رحيبة بمدينتي، في تمام السابعة مساءً وقف (كريم) أمام باب الفيلا ينتظر الإجابة، رافقه الخادم حتى حجرة الصالون الفخم، الثراء هنا يبدو أنيقًا ممزوجًا بحس فني ثقافي ذي طابع غربي، تماثيل الحضارة الإغريقية الموجودة في كل ركن وعلى كل رف تؤكد أن صاحب المكان رجل ذو حس ثقافي وتاريخي مدهش.

بينما هو في شروده وجد (هاني أيوب) أمامه، غريب أنه لم يسمع خطواته، والأغرب هيئته، بدا الطبيب العالمي في حالة يرثى لها، طويل اللحية على عكس أغلب صوره في الأبحاث والمجلات، أشعث الشعر، الهالات السوداء اتخذت تحت عينيه مسكنًا، ومقلتيه بلون الدم، هذا الرجل يعاني من إرهاق واضح، ربما أرق، ربما مرض، لا يعرف ولكنه لم يتصور أن تكون هذه هيئة الطبيب الشهير.

حيا (هاني) (كريم) ببرود واضح وباستياء تنطق به خلجات وجهه، مما دفع (كريم) إلى شعور عارم بالإحراج. وهو يقدم نفسه له ثم قال:

- آسف على الزيارة المفاجئة، ولكن الأمر لا يحتمل أي تأخير، خاصة وأن هناك من يعاني.

- من الذي يعاني؟

- مجموعة من الأطباء، أنا من بينهم وكذلك دكتور (ضياء) أظن أنك تعرفه، والد فتاة يبحث عن ابنته، شاب ذهب في غيبوبة وكاد أن يدفع حياته ثمنًا لهذا العقار الذي أوصيت به.

- على رسلك يا دكتور، دكتور (ضياء) هو من طلب مني المساعدة وما زلت نادمًا أشد الندم على هذا، ولكن تحت إلحاحه وراء نفس مبرراتك، منحته أحد أسراري، أنت طبيب وتعرف قيمة أبحاث لم يعلن عنها بعد.

- نعم ولكن هذا الشاب في غيبوبة قد لا يعود منها، هناك أب يريد أن يرى ابنته قبل الموت، هذه أماني يجب أن تُحترم.

- أنت هنا لتهيننني؟

- عفوًا لم أقصد ذلك.

- لعلمك هم من تأخروا عليه وهذه ليست غلطتي.

- نعم معك حق ولكني ما زلت أعتقد أن بوسعك المساعدة.

- لقد أديت ما هو مطلوب مني وليس الأمر كما تظن.

ثم هب واقفًا كأنه ينهي الزيارة، فاحمر وجه (كريم) انفعالًا، لم يعتَد أن يُعامل مثل هذه المعاملة الفظة فقرر أن يلقي بآخر أوراقه وأخرج من جيبه الرسالة التي وجد بها اسم دكتور (هاني أيوب):

- لقد وجدت هذه في جيبي بعد حادث غريب.

مد (هاني) يده ليتناول الرسالة في نفاد صبر واضح من محاولات الطبيب الشاب، وقرأها، يمكن بسهولة ملاحظة تغير انفعالاته وتأثره، يمكن أن تراه مرتبكًا وهو يبتلع ريقه بصعوبة إثر قراءة هذه الرسالة القصيرة المقتضبة ثم تساءل (هاني):

- ما هو الحادث الغريب الذي تتحدث عنه؟

- كنا فريقًا طبيًا مكونًا من عدة أفراد، اجتمعنا في مكان بعيد يحفظ لنا خصوصية مطلوبة ومعنا (علاء) الراقد في الغيبوبة، ذات ليلة استيقظت من النوم لأجدني داخل تابوت، وفي التابوت المجاور كان هناك جثة لإحدى الممرضات المشتركة معنا، هذه الممرضة ماتت مقتولة مخنوقة، لم يكن بالفيلا سوانا، والأغرب من ذلك حالة فقدان ذاكرة جماعي أصابت كل الموجودين، نحن لا نعرف ما الذي حدث، من قتل هذه الممرضة؟ لا نعرف، بالطبع لا يمكن إنجاز المهمة في جو كارثي كهذا، حققنا في الأمر، خمن من قاتل هذه الممرضة، من وجدنا بصمات أصابعه على رقبتها؟!

ارتفع حاجبا هاني يعقوب وضاقت عيناه انتظارًا للإجابة وقد نجح (كريم) في الاستحواذ على فضوله ثم أجابه:

- (علاء) الشاب الراقد في الغيبوبة والذي أؤكد لك استحالة قيامه

بذلك طبيًا، خاصة أنه في وضع ثابت لم يتغير منذ أيام يعيش على المحاليل وبجواره مجموعة من الأجهزة الضرورية.

صمت لحظة وهو يرى أثر كلماته على (هاني أيوب) قبل أن يستطرد:

- بصفتك صانع هذا العقار، قل لي دكتور (هاني)، هل هذا ممكن أن يستيقظ الراقد في الغيبوبة ليقوم بجريمة قتل ثم يعود إلى غيبوبته؟ نحن حتى لا نعرف لماذا وضعني في صندوق أشبه بالتابوت، ولا نعرف من صاحب الرسالة ولكنه بلا شك لم يكتبها إلا عن دراية ما.

الارتباك لم يجد مهربًا فبان واضحًا على وجه (هاني)، وعقله يعمل بسرعة، لم يقرأ خط كهذا من قبل إلا في كلتا الرسالتين، الأمر يفوق المنطق، وما تعرض له كريم ورفاقه خارج عن نطاق العقل، لا فائدة من الإنكار أكثر من ذلك.

- اسمع أيها الطبيب! أؤكد لك أني لا أعرف ما تتحدث عنه والخطأ خطأي من البداية أني شاركت في هذه المهزلة، امنحني دقيقتين وسأعود إليك حالًا.

ثم غادر هاني وانصرف، رآه هذه المرة وهو يتحرك بخفة وسرعة لا تتناسب مع سنه أو مركزه، عاد إليه من جديد ثم منحه زجاجة صغيرة للغاية باردة تحتوي سائلًا ما.

- أرجو حقن هذا الشاب بهذه الجرعة من هذا السائل، إن لم يعد لوعيه في خلال ست ساعات، فعلى الأغلب سيبقى الباقي من عمره

في هذه الغيبوبة، هذا كل ما لديّ في هذا الشأن.

- ما الذي تحتويه هذه الزجاجة؟

- لا تخف، لن تزيد حالته سوءًا، أمامك ساعتان بالضبط قبل أن تفسد هذه المادة بداخلها، لأنه غير مسموح بقائها في درجة حرارة أعلى من المطلوب، أسرع من فضلك، إن كنت تريد المساعدة بحق!

الجدية والحزم والصرامة التي يتكلم بهم (هاني) لم تتح له خيارًا سوى الاستئذان والانصراف هرولة للعودة من حيث أتى.

(١٨)

علاء عبد العزيز

نهضتُ على فراش غير مرتب في غرفة متوسطة المساحة، ليست على قدر كبير من النظافة، لا تحتوي إلا على هذا الفراش ومنضدة صغيرة، جاء الصوت من جديد:

- هل أنت جاهز لمهمتك الجديدة؟

- ليس لي خيار سوى ذلك.

- لن تكون هذه المرة ككل المرات السابقة.

- لم يكن هناك لعبة تشبه سابقتها من قبل فلا داعي لترديد كلمات بلا معنى.

صمت الصوت وكأني أحرجته. قبل أن يواصل:

- حان الآن العودة إلى عالمك؟

لم أصدق ما قال فقلتُ على الفور:

- هل نجحت وكابوسي انتهى، سأعود إلى حياتي من جديد؟

- ليس الأمر كذلك، ولكن التحدي الجديد يقع في عالمك، لديك مهمة هناك.

لم أفهم وأصابتني كلماته بالارتباك وبصيص من الأمل.

- ما المطلوب مني في عالمي؟ وكيف سأذهب وأعود؟

- لا تقلق، ربما تكون هذه أسهل مهامك، المطلوب منك قتل هذه المرأة في الصورة و...

- لحظة واحدة، أنت تطلب مني أن أقتل؟

قلتها وأنا أنظر في كل اتجاه بحثًا عن هذا الصوت اللا مرئي النابع من غير مكان محدد، قلتها وقد شعرت فجأة بالغباء، فقلت على الفور:

- ألست هنا، لأني قتلت؟

- من قال ذلك؟

- العجوز الذي كان بصحبتي في الغرفة، أليس هذا هو السبب؟

- ربما ولكن الأمر أعقد من ذلك.

- لا أفهم.

- ليس عليك أن تفهم، ستخوض التحدي القادم بحثًا عن حريتك، والفشل كما تعرف يعني البقاء هنا إلى الأبد، والفوز يقربك خطوة من التحرر.

- ولكن لماذا أقتل؟ ومن سأقتل؟

- لأنك إن لم تفعل ستموت أنت بطريق الخطأ، خطأ طبي سيودى بحياتك.

- خطأ طبي، لا أفهم شيئًا.

- ستجد على المنضدة خلفك خطابًا وصورتين، الصورة تخص

ضحيتك السيدة التي هي في طريقها لقتلك بالخطأ، أما الشاب الثاني فعليك أن تريه الموت دون أن يموت، هذا هو تحديك القادم وستترك له هذه الرسالة.

- كيف ذلك؟

- هذه مهمتك أنت وليست مهمتي.

ما هذا اللغز كيف أريه الموت دون أن يموت؟ لست بارعًا في هذه الألعاب الذهنية، ما العمل؟ فتحت الرسالة لأقرأها فوجدتها صفحة بيضاء كقلب طفل فهتفت:

- إنها خاوية.

- حين يقرأها، لن تكون كذلك.

لا يمكن تخيل السعادة التي ملأت قلبي وقتها، لقد اقترب الخلاص. ولكن الحيرة حجزت لها مكانًا في عقلي أيضًا.

- ولكن احذر، ستعود لعالمك بشكل استثنائي لاجتيازك التحديات هنا، يجب ألا يتماس العالمين إلا من خلالك، لا يجب أن يراك أحد أو يشعر بك أحد، يجب أن يتم الأمر بهدوء وسرية تامة، نسختك هنا في هذا العالم غير مسموح لأحد بالاطلاع عليها.

- ماذا لو رآني أحد، أغلب الظن أنهم ملتفون حولي الآن يحاولون إفاقتي؟

- متى رآك أحدهم، ستحدث كثير من الفوضى ربما تؤخر عودتك، عليك الآن أن تنام قليلًا، وستصحو على عالمك، نصيحة أخيرة لا

محاولات للهرب وإلا فإن جسدك لن يرى النور ثانية.

- لست بحاجة إلى التحذير سأبذل ما في وسعي للتخلص من هذا الكابوس.

أويت إلى الفراش شاعرًا بالإنهاك، أرجو حقًا أن أنال قسطًا من الراحة.

لا أعلم كم مر من الوقت، ولكني استيقظت هذه المرة على أرض ترابية والظلام من حولي محدق بي، عدا من أنوار كشافات سيارة تقف أمام فيلا، على عتبة بابها هناك مصباحين داخل فانوسين كبيري الحجم يرسلان حُزم من نور أبيض تسمح برؤية بسيطة، السماء فوقي مليئة بالنجوم اللامعة الراقصة، صفافير الرياح حولي تصم أذني ولكني سعيد، أنا على الأرض، قلتها بفرحة لرؤية عالمي من جديد وحسرة لأني غير مسموح لي بالتصرف إلا وفق خطة موضوعة مسبقًا لا تسمح بأي حياد عنها، يمكن الجزم أني نائم داخل هذا المنزل ومروان ورجاله يعملون على إفاقتي. حقًا كم افتقد هذا العالم! كم افتقد هذه السماء!

ينبغي ألا أسمح لأحد أن يراني، وأتم مهمتي، لا أعرف أين أنا بالتحديد ولكن يبدو المكان منعزلًا في عتمة هذا الليل، لم أنل حريتي بعد، من سجن إلى مستشفى إلى عالم مجهول مجنون، لا أدري أي حظ عاثر هذا الذي يتلذذ بتعذيبي، درت حول الفيلا باحثًا عن مدخل آمن، أغلب الشبابيك موصدة لا فائدة منها، ولكني رأيت في الطابق الأرضي شباكًا صغيرًا عاليًا بعض الشيء ولكن يمكن الوصول إليه والعبور من خلاله، قفزت مستندًا على بعض البروز من

الجدار أحاول التشبث به، حتى وصلت إلى فتحة الشباك، الظلام بالداخل يشي بعدم وجود أحد هنا، تبدو هذه كغرفة مطبخ، لحسن حظي لا حديد أو أسلاك يمنع دخولي، قفزت محاولًا عدم إحداث أي ضوضاء، لا أعرف كم الساعة الآن ولكن يبدو الوقت متأخرًا جدًا، خرجت من المطبخ فوجدت نفسي في غرفة استقبال واسعة، المكان نظيف مرتب ومجهز بعناية، هناك عدة غرف مغلقة، ينبغي الابتعاد عنها لأن قاطنيها لن يكون رد فعلهم لطيفًا حين يروني ولا أنا أرحب بهذا اللقاء، ولكن ماذا لو أن جسدي بداخل إحدى هذه الغرف، وجدت درجًا يقود إلى طابق علوي، تُرى أين جسدي، أين أبدأ بالمجازفة؟ ماشيًا على أطراف أصابعي صعدت الدرج، الغرف تبدو على يساره عبر رواق طويل، إحدى الغرف بابها مفتوح مصباحها لا أراه ولكن الرؤية بالداخل ليست سيئة وجدت بها فراش يشبه أسرة المستشفيات، هناك جسد راقد، هل هذا أنا؟ إنه أنا بالفعل وأجهزة عن يميني ويساري. اللعنة! هناك من يتحرك داخل الغرفة، إنها امرأة، أخرجت الصورة من جيبي، نعم إنها هي، تبدو بصدد القيام بأمرٍ ما، أراها تمسك بزجاجة دواء وتسحب منها سائل عبر محقن، لقد قال الصوت إنها ستقتلني بطريق الخطأ، هل ستمنحني جرعة زائدة، أم سيختلط عليها الدواء وتمنحني آخر قاتلًا، لا أعرف ولكن لا ينبغي التأخير، إنها تزرع الغرفة جيئة وذهابًا متنقلة بين الأجهزة، هي طبيبة أو ممرضة مدعوة هنا لمتابعتي ولكنها عوضًا عن ذلك ستقتلني، بعد كل ما قاسيته وأموت بسبب هذا الخطأ الطبي الساذج، الآن عليّ التحرك، يجب إنجاز المهمة وبأي ثمن، اقتحمت الغرفة ووقفت في مواجهتها، كان بودي لو وصفت صدمتها

وفزعها في هذه اللحظة، كان بودي لو وصفت طولها المتوسط وشعرها الأسود المصفف بعناية، كان بودي لو وصفت بنطلونها الوردي وبلوزتها الحمراء، كان بودي لو وصفت رغبتي في التراجع، كان بودي لو شرحت لها أني مضطرًا إلى قتلها، لأني إن لم أفعل ستفعل هي وتقتلني، ولكن حاجتي إلى إنجاز الأمر تمنعني من ذلك، للوهلة الأولى جحظت عيناها حين ظهرت أمامها من العدم، أثق بأن صوتها راح مع جزء من عقلها وهي تتطلع لوجهي في رعب، ثم تتحرك عيناها بين نسختين من نفس الشخص، نسخة راقدة على الفراش لا حول لها ولا قوة، ونسخة أسقطت قلبها في قدمها ولا تدري ما التصرف الأمثل معها، إنها تقاوم فكرة السقوط من هول الصدمة، وأنا أقاوم فكرة التراجع، ولكن في اللحظة التي قررت هي أن الصراخ هو الحل لتطلق لحنجرتها العنان طلبًا للغوث، رأيت أني منحتها وقتًا أكثر من اللازم مما يهدد حياتي نفسها، هجمتُ عليها ووضعت يدي على فمها الصغير في محاولة لكتم صوتها، أحكمت قبضتي عليها، لن أتركها تهدر حياتي بغبائها، أطبقت على أنفاسها ونظرت إلى جسدي الراقد جواري، والأسلاك نائمة كالثعابين حولي، يبدو أني شردت في وجهي وجسدي ونسيت تلك التي بين يدي، هي تحاول التملص لكنى لا أدري متى ولا كيف انزلقت يداي على رقبتها، حتى كفت عن محاولة الهرب، أرخيت يدي قليلًا ولكن المرأة سقطت على الأرض ثابتة لا تظهر أي حركة، هل فقدت الوعي، لا أحد يفقد وعيه ويترك عينه مفتوحة بهذا الشكل المخيف، إنها ماتت، لقد قتلتها بيدي، كما طُلب مني، لا أعرف كيف تحول الأمر من محاولة لإسكاتها، لقتلها بدم بارد، حتى لو كان ذلك هدف لي

داخل اللعبة، يبدو أني اعتدت القتل وإزهاق الأرواح، ولكنها روح إنسان وليست أفرادًا كهؤلاء الذين قابلتهم في اللعبة الماضية، قبل أن أفوق من صدمتي كان هناك صوت خطوات يقترب من الغرفة، وفجأة وجدت أمامي الطبيب الشاب الذي انعقد لسانه حين رآني، وزاغ بصره بيني وبين جثة المرأة الراقدة بيننا وبين جسدي الراقد على الفراش، انقضضت عليه بقبضة في وجهه ودفعة شديدة في صدره، فعاد عدة خطوات للوراء ليصطدم بالحائط ويسقط فاقدًا للوعي، لم أصدق ما حدث لست قويًا لهذه الدرجة، ظننت هذا يحدث في الأفلام فقط، يتلقى الكومبارس ضربة واحدة من البطل فيسقط صريعًا بينما البطل يتلقى عشرات أضعاف هذه الضربة ولا يخدشه ظفر واحد، انتظرته ثوانٍ لعله يقوم أو يتحرك ولكن لا شيء، هل مات هو الآخر؟ لا أعرف جثوت على ركبتي في محاولة لاستكشاف نبضه، ما زالت عروقه تنبض وما زالت رئتاه تتلقى الهواء، تركتهما على الأرض وتلفّتُ إلى الخلف، كم هو مدهش النظر إلى نفسك وأنت نائم، نائم بحق لا ادعاءً ولا تمثيلًا، هذه فرصة لا تعوض أن تتطلع إلى نفسك بنفسك دون استخدام مرآة تعكس فقط ما ترى، لماذا رغم كل ما اقترفته يداي أشعر بالعطف تجاهي؟ نظرت لي وأنا أتساءل هل سينهض هذا الجسد من جديد؟ هل سترى هذه العيون الشمس مرة أخرى؟

لا وقت لهذه التساؤلات الآن، لم تكتمل المهمة بعد، صحيح أني هنا نائم ولكنه تمامًا كنوم الذئاب، عين مفتوحة ترى الأهوال في عالم عجيب وعين مغمضة ربما لا ترى النور ثانية، ما زلت لا أعرف كيف لهذا الشاب أن أريه الموت دون أن يموت، هل بهذه الضربة التي

أسقطته أرضًا، فعلت ما ينبغي فعله، لا أعرف، خاصة وأني لا أعرف كيف سيتم الانتقال أو متى إلى عالم التحديات؟ غادرت هذه الغرفة وأنا أرجو أن يحالفني الحظ في ألا ألتقي آخرين هنا، أنا لم أعرف من هذا الرجل وهذه المرأة ولكنهما مكلفان بالعمل على مساعدتي وقد يدفعا حياتهما ثمنًا لذلك، جلت بداخل الفيلا لم أرِد أن افتح أي باب مغلق، هبطت للقبو فوجدت بابًا يمكن دفعه فدفعته، فوجدت غرفة مليئة بالكراكيب والصناديق، هنا واتتني فكرة شيطانية مفزعة وليدة اللحظة، هناك صندوقان كبيران يمكن وضع الجسدين بالطابق الأعلى بداخلهما، جسد المرأة لن يعود إلى الحياة، أما جسد الرجل فيمكن أن يعود إليه وعيه في أي وقت، ماذا لو عاد وعيه ووجد نفسه ممددًا بداخل الصندوق، ماذا لو كان الصندوق محكم الغلق؟ لو كنت مكانه لحسبته تابوتًا، وظننت أن أحدهم دفنني حيًا، هكذا سيرى الموت دون أن يموت، ولكن ماذا لو مات من الفزع؟ ماذا لو مات من الاختناق؟ بعض الثقوب في الصندوق ستكون ذا نفع عظيم.

هممت بسرعة بحمل المرأة من الطابق الأول إلى القبو، ثم حملت الرجل ووضعت كل منهما بصندوق بعد أن أفرغت محتوياته، وضعت صندوق المرأة فوق صندوق الرجل، حقيقة أشفق عليه تمامًا، ولو كنت مكانه فلن أسامح الفاعل أبدًا، كدتُ أن أنسى أمر الرسالة، أنزلت الصندوق الأول وفتحت صندوقه مرة أخرى، ووضعت الرسالة في جيبه، عساه أن يفتحها إذا استطاع الخروج من هذا الصندوق، رسالة بيضاء لا أعرف أي حبر سري كتبت به ولا أعرف محتواها، أتممت مهمتي داخل القبو ثم غادرت المنزل من

حيث أتيت، بينما أهرول اختفى المشهد من أمامي في غمضة عين بطريقة سحرية تسرق العقل وعدت حيث المنضدة والفراش الغير مرتب والسقف المظلم.

هل أتممت مهمتي بنجاح؟ سأعرف بعد قليل ولكنني متعب، متعب للغاية ومحبط، حتى لو عدت لعالمي فأي حياة تنتظرني، أنا هارب من السجن متهم بجريمة قتل وجريمة خطف، جريمة القتل مثبتة، لن يصدق أحد أبدًا دوافعي للقتل، لم يَرَ أحد غيري ما رأيت، كيف أوقعت نفسي في هذا البئر الذي لا قرار له؟ نعم لقد قتلت صديقي لأنه تحول تمامًا تحت تأثير المخدرات إلى ذئب. الآن أتذكر بوضوح جريمتي الأولى جريمة الخطف حين سمعت الفتاة تتحدث على الهاتف في سيارتي، عن أبيها وثرائه الفاحش، حين ذكرت اسمه فكرت أني معي ولأول مرة إحدى بنات طبقة الأثرياء ذوي الثراء الفاحش، الذين لو أكلوا في أموالهم كل ليلة دون أن يكسبوا جنيهًا جديدًا فلن ينتهوا من إنهائها قبل قرون، لو أني فقط أملك مبلغًا مكونًا من خمسة أرقام ستنتهي كافة مشاكلي وتصير حياتي نعيمًا فكيف يعيش هؤلاء الذين لا يعرفون مقدار ثروتهم ولا عدد الأصفار على اليمين من كثرتها؟ الحياة ظالمة بشكل عنيف، كبشة مال من والدها ستطردني إلى الأبد من دائرة الفقر، ولن يشعر معها بأي خسارة، ولكن كيف أجعله يفعلها، هنا زين لي شيطاني فكرة واهية سرعان ما تجسدت لخطة مكتملة، لماذا لا احتفظ بابنته بعض الوقت؟ مجرد مساومة بسيطة نظير بعض المال، قليل جدًا من المال الذي سيكون بمثابة نقطة في بحر أمواله، أما بالنسبة لي فهو بحر لم أنعم بالسباحة فيه من قبل، الطريق مزدحم والسيارة تزحف حرفيًا،

اكتملت الخطة في ذهني وتخمرت سريعًا، تظاهرت بتلقي مكالمة من أمي، كأنها تواجه مشكلة عويصة تستدعي تدخلي السريع، المنزل تعرض لحريق متوسط وأمي تستغيث بي، في لحظة صرت ممثلًا بارعًا، صوتي يصرخ وأنا أهاتف والدتي:

- سآتي حالًا.

استأذنت الفتاة اللطيفة الجالسة خلفي، بدا عليها التأثر جراء المكالمة فبررت طلبي:

- أعدك لن أتأخر، منزلنا قريب من هنا للغاية، سأطمئن فقط على أمي وسنذهب حيث شئت، ولو ساء الأمر سأطلب لك سيارة لأحد الزملاء تصل بكِ إلى حيث تريدين.

بدا عليها التأثر والقلق في نفس الآن، إنها لا تعرف ما الذي ينبغي فعله في هذا الموقف، هل تطلب النزول وأنا في هذه الحالة أم تصطحبني خاصة وأن مظهري لا يوحي بأي خطر وحالتي كذلك؟

أختلس النظر إلى وجهها في المرآة التي أمامي بين الحين والآخر وأنا أهمس في نفسي:

- لا تخافي، لن أؤذيك، فقط أيام قليلة وتعودي إلى حياتك وأعود إلى حياتي.

كنت واهمًا لم تعد الحياة قطُّ كما كانت، بل اسودت بشكل لا يمكن وصفه، لا شك أني أستحق كثيرًا مما بلغته.

إمعانًا في إحكام الخطة، تواصلت بالهاتف دون أن تلحظ مع صديق لي يُدعى (سيد) له نفس أحلامي ويشكو نفس أوجاعي،

يتمنى مثلي أن تبتسم له الدنيا ولو ليوم واحد دون تكدير. (سيد) هذا شاب قصير، أسمر البشرة، أكرت الشعر، بسيط الحال وموفور النشاط. ولكنه يعاني من سوء الأحوال المادية.

أرسلت إليه رسالة أني سأمر عليه الآن، أريد حقنة مخدرة دون جدال، أعرف أنه يستطيع تدبر أمر كهذا فهو واسع العلاقات، كما أنه يتعاطى بشكل خفيف، لحسن الحظ جاء رده سريعًا، فأمرته أن يفعل ما أريد دون استفسار الآن، سيفهم لاحقًا، دقائق والتقطته من طريقي، الطريق خاوٍ، اقتحم الكرسي الخلفي وأنا أشير له بذلك، فقلت له

- احقنها بسرعة!

عندها بدأت الفتاة في الصراخ والذعر، ندمت عندها ألف مرة، شعرت وقتها أني أرتكب خطأ غير مغفور، لقد تحولت إلى مجرم مع سبق الإصرار، ولكن الأموال التي سأتلقاها من أبيها، ستنسيني كل ذلك، ستمحو فقري وتعالج ضميري، بعد دقائق ماجنة من مقاومة غير مجدية وشد وجذب، سقطت الفتاة في الغيبوبة المطلوبة، فشرحت له خطتي، عندها تهلل وجهه فرحًا وهو يضرب سقف السيارة وكرسيها من السعادة.

- سنصير أغنياء، سنودع الفقر يا (علاء).

الحماسة التي تحدث بها أقنعتني أني لم أجازف هباءً، أظهر عونًا حين اقترح أحد الأماكن البعيدة التي يمكن فيها الاحتفاظ بالفتاة في أمان دون خطر يهددنا حتى إتمام الصفقة.

اتجهنا مسرعين نحو الشقة التي تقع في قرية نائية، المنزل وسط أرض زراعية لا يرتادها الكثيرون، لم تكن مجهزة بما يكفي ولا نظيفة ولكن من قال إنه مسكن دائم، أيام وسنذهب نحن والفتاة كل منا إلى طريقه، ولن تتقاطع طرقنا مستقبلًا، سأحرص على ذلك، المال فقط هو ما أريد.

لكن تأتي الرياح دومًا بما لا تشتهي السفن، طالت غيبوبة الفتاة بشكل مقلق، حسب ظن سيد ينبغي ألا يطول نومها عن ٨ ساعات حسب الجرعة المعطاة، ولكن استمرت غيبوبتها أكثر من ذلك وهو ما بث فينا الخوف، كيف سنقايض الرجل إذا لم تكن ابنته حية سليمة، لو أصابها مكروه على سبيل المصادفة فنحن الفاعلون ونحن السبب دون شك هكذا سيظن ولن يلومه أحد، هذا هو ما جعلنا نتأخر في الاتصال به وهو أغبى قرار اتخذته، لأن مع كل ثانية تمر، الرجل يذيع في كل مكان اختفاء ابنته، ورجل كهذا سيصير مادة إعلامية دسمة يتناول أخبارها في البرامج والنشرات، في اليوم التالي تم توزيع صوري على كافة الأقسام والدوريات والفتاة حالتها لم تتحسن.

بعد يوم كامل بدأت حالتها تتحسن تدريجيًا، كانت ترجونا لنعيدها لوالدها وتعدنا أنه سيفعل ما نريد، نعرف ذلك ولكن المشكلة أننا تأخرنا في الاتصال به فصار خبر الاختطاف حديث كل مواطن، هذا هو الأمر حين تقترف جريمة دون تخطيط، فاشل أنا حتى في الإجرام، لقد تلطخت سمعتي وصرت المشتبه الأول، الجميع يبحث عني، بينما (سيد) لا أحد يعرف عنه شيئًا، سيتلقى مبلغًا من المال وأظل أنا مطاردًا باقي عمري، كان الاتفاق بيني وبين (سيد) أن نجعلها تتواصل مع والدها وتطلب منه مليون جنيه مقابل عودتها،

على أن تبتعد عنا الأجهزة الأمنية وتكف عن الملاحقة، وإلا فإنه لن يراها ثانية.

في هذه الليلة كنت أتدبر طلباتنا من الخارج قبل الاتصال بوالدها، غبث فقط ساعتين عنها فعدت وقد وجدته فقد عقله إثر تناوله جرعة من المخدرات، لقد خدرها وشرع في الاعتداء عليها وهي نائمة، المشهد الذي رأيته لا معنى له إلا ذلك، لا أعرف على وجه التحديد، هل فعلها أم أني جئت في الوقت المناسب، لم يكتفِ بذلك بل دعاني لمشاركته جريمته الحيوانية، لم أخطفها لأجل ذلك، هنا اشتعل الموقف وتأجج غضبي، فتداعت حصون رشدي وأمسكته من رقبته وأنا أوجه له اللكمات على فعلته، هذه جريمة جديدة تنضم لقائمة جرائمي، لم أنوِ إيذاءها قطُّ بهذا الشكل، لم يتوقف الأمر عند ذلك في فورة الغضب، أخرج من جيبه مطواة وفتحها بطريقة سريعة كما لو كانت فعلة محترف فعلها عشرات المرات قبل ذلك الموقف، وتحول الشخص الذي ظننته صديقًا يمكن الاعتماد عليه إلى وحش جائع للدماء لا يعرف رحمة أو مروءة، اشتبكنا في صراح محسوم، حياتي أمام حياته، انتزعت سكينه منه وتحت وطأة القتال الدائر بيننا غرزتها في صدره فخر أمامي صريعًا بينما الفتاة تحت تأثير المخدر لا تشعر بشيء، نعم قتلته، أخذ يلفظ أنفاسه الأخيرة أمامي، تلطخت يدي بدمائه وصارت سمائي ملبدة بالغيوم، من سيتفهم دوافعي لقتله، من سيصدق أني قتلته لأنه اعتدى عليها، لا شهود ولا اعتراف سيفيد، لقد ربطت حبل المشنقة حول عنقي بسذاجة مفرطة، صحيح أني لست نادمًا على هذه الجريمة ولكني نادم أشد الندم على جريمتي الأولى، فهي الحفرة التي حفرتها

لنفسي، زلزال عمري الذي دمر جنبات عالمي، لا أدري ما العمل في هذا الشرك الذي صنعته بنفسي ونسجت خيوطه بيدي، حاولت ستر الفتاة قدر استطاعتي، حاولت تنظيفها من أي آثار، لا أعرف هل ستفهم ما تعرضت له؟ هل ستتذكر؟ هل سيصدق أحد أني لم أشارك في الاعتداء عليها؟ بات لزامًا التخلص من الجثة، أخذته في الليل وألقيت جثته في الترعة ظنًا أن هذا سيزيل آثار البصمات وظنًا أنها ستستقر في القاع ولكني كالعادة كنت مغفلًا، عثروا على الجثة وتعرفوا عليها واشتبهوا بي، قدمت لهم دليل إدانتي على طبق من فضة، منذ ذلك انتهيت ككائن بشري، منذ ذلك الحين وأنا ذكرى باقية لشخص كنت أعرفه وذهب دون رجوع.

لو أن هناك أمنية تداعب خيالي الآن فهي العودة إلى الوراء، ومحو كل أحداث هذا اليوم وآثاره وما ترتب عليه، أمنية مستحيلة في عالم مستحيل.

لمرة جديدة يعود الصوت لي بنبرة جديدة، هل أنا محق أم أنها وهم في رأسي ولكنه أظهر تعاطفًا محدودًا، محدودًا جدًا. في هذا الوقت بالذات وددت لو أعرف من هو صاحب الصوت.

- تهانئنا يا رجل، نجحت في مهمتك أخيرًا، وأديت مهمتك على الوجه الأكمل، أنقذت حياتك واجتزت التحدي ببراعة، جعلته فعلا يرى الموت دون أن يموت.

- ولكن بعضهم قد رآني، في أثناء وجودي بينهم.

- لا تخف، حدثت بعض الفوضى كما أخبرتك، فقدان ذاكرة جماعي لكل من وُجِدَ داخل هذا المكان في أثناء وجودك، مع غلق لكافة

الأبواب والشبابيك، ما لديهم مجرد شكوك أو ظنون، لا يوجد ما ينفيها أو يؤكدها.

قلت في نفاد صبر:

- هل يمكنني العودة الآن؟

فسألني آخر سؤال أتوقعه:

- هل حقًا تريد العودة؟

لم أظن أن هذا الكائن يعرف المزاح ولكن واضح أنه يحاول، هل أريد العودة؟ بالطبع وإلا لماذا قبلت هذه التحديات؟ وكأنه يقرأ ما في رأسي.

- فكر قليلًا، فكر جيدًا، ما حاجتك إلى العودة، أنت هنا تقدم مستوى جيدًا؟

- لا أفهم، هل تريد مني البقاء فعلًا؟

- نعم أنت تقدم مستوى جيدًا في هذه الألعاب.

ضحكت لأول مرة في هذا العالم ولأول مرة منذ شهور في كلا العالمين، هذا الذي يتحدث لا يفهم مشاعرنا هنا، نحن هنا لا نعيش أيامنا، بل ننجو منها فقط، أريد الأمن والأمان ولكن يبدو أنهما لا يريداني، فقاطعني قبل السقوط في اليأس:

- ولكن الأمر يعود لك، لقد اجتزت المستوى الأول بنجاح، لو أردت ستنتقل إلى المستوى الثاني.

رنت ضحكتي في أرجاء الغرفة وأنا أردد بين الدهشة والهلع:

- مستوى ثانٍ؟

- نعم، ألعاب جديدة وتحديات أخرى.

قالها بجدية لا تتناسب أبدًا مع العرض، هل لا يعرف مقدار المعاناة في كل لعبة، مقدار الألم والخوف؟

- لا، لا أريد البقاء، وأرجو أن أعود إلى عالمي الآن.

- أنت لا تفهم، هناك أخرون يمضون سنوات من أعمارهم في الغيبوبة وهم هنا يمارسون ألعابًا متنوعة ويخوضون عديدًا من التحديات، بعضهم لا يعود إلى عالمكم أبدًا وبعضكم يعود بعد الفوز باكتساح في كل الألعاب وعلى كل المستويات.

- لا لا، لا أريد أن أكون مثلهم.

- لك ما تريد، ولكن لأنك أثبت جدارتك، فأنت مرحب بك دائمًا في ألعاب النوم، حين تعود إلى عالمك ستجد وعاءً في جيبك، وعاءً صغيرًا للغاية سيساعدك في حالة أردت العودة.

- تأكد أني لن أفعل.

- كما تريد، أبقه معك أو تخلص منه، لك القرار.

- هل سأغادر الآن؟

- بعد قليل، لن يكون لك هنا وجود ولكن هناك رسالة عليك توصيلها.

- رسالة إلى من؟

- إلى الرجل الذي أريته الموت دون أن يموت، أبلغها له في الوقت المناسب!

- لا مانع عندي، أعيدوني فقط إلى عالمي وسأفعل كل ما تريدون!

- نحق بذلك، سلام.

اندهشت أيما اندهاش وأنا اسمع هذه الكلمة التي لا تلائم هذا العالم أبدًا وظلت تتردد في أذني «سلام... سلام... سلام.. سلام.. سلام...».

(١٩)

عقب هذه التطورات الجديدة، جلس الجميع ملتفين حول جسد (علاء) بعد حقنه بالمادة التي حصل عليها (كريم) من (هاني أيوب) أما (مروان خليل) فقد حضر على طبق طائر فور سماعه الخبر العظيم، بضع ساعات هي ما تفصله لإتمام كل مجهوداته في الأسابيع الأخيرة والمخاطر التي تحملها.

الهمسات التي خرجت من فم (علاء) والهمهمات غير المفهومة كانت بادرة لم يسبق لها مثيل من قبل، يبدو أن جسده بدأ يستجيب للسائل السحري الذي منحهم إياه (هاني أيوب) الذي لديه وصفة سحرية لكل ما يستعصي على عاقل، هذا ساحر يرتدي ثوب الأطباء، هكذا فكر (ضياء) والذي برغم ما مر به ولكن انبهاره لم يتوقف لحظة (بهاني أيوب)، ما الذي في جعبته أيضًا ولم يفصح عنه؟ لو خرجت أبحاثه للنور ستكتب تاريخًا جديدًا في الطب.

للمرة الأولى تلوح الابتسامة على وجوه قلقة منهكة أمضت أيامًا عصيبة، يبدو أن المهمة أخيرًا في طريقها إلى النجاح. (علاء) يفتح عينه ببطء، يتفرس في وجوههم دون أن يبدي أي إشارة ولكنها جميعًا علامات مطمئنة، إن هي إلا مسألة وقت حتى يعود إليه وعيه كاملًا ويستعيد قواه، بجواره (مروان خليل) عينه تبكي من الفرحة والأمل يداعبه بأنها هانت وعم قريب سيرى وجه ابنته.

سأل (كريم) (علاء):

- هل تشعر أنك بخير؟

فأومأ برأسه موافقًا.

- هل تتذكر أي شيء عن الأيام الماضية؟ هل رأيت أحدنا من قبل؟

وقعت عينه على (مروان خليل) فقط، هذا هو من سبق له لقاؤه في السجن من قبل. هكذا كان رده.

نهر (ضياء) (كريم) عن هذه الأسئلة، فهذا ليس وقتها.

وقبل فتح تحقيق فيما وقع منذ عدة أيام، هناك تحقيق إجباري سيخضع له (علاء)، تحقيق طال انتظاره، أين هي (هدير) وما الذي فعله بها؟

- هل أنت واثق من أن ابنتي بخير؟

سؤال طرحه (مروان) على مرأى ومسمع من الجميع، فهز (علاء) رأسه بثبات وثقة اطمأن لها كثيرًا (مروان) قبل أن يعلق:

- قد نفذت ما طلبت، بقى أن تفي بما وعدت.

بدت ابتسامة خفيفة على وجه (علاء) وقد تذكر حديثهما المقتضب في السجن.

***

علاء عبد العزيز

عودتي من ألعاب النوم كانت بمنزلة ميلاد ثانٍ والذي شهدته وانتظرته بنفسي، من جديد أعود لهذا العالم بأفراحه وأوجاعه، بآلامه وأشجانه، ولكن هذه المرة، أناس لا أعرفهم ولا تربطني بهم صلة دم، ينتظرون عودتي بلهفة قدوم وليد جديد وربما أكبر،

يمكنني حتي وسط خمولي وبطء استيعابي أن أرى الشغف يقفز من عيونهم، والشعور بالنصر يغلف ملامحهم، هذا هو الفريق الذي كان يعمل على عودتي لمدة لم أعلمها بعد، ولكنهم نجحوا، ثُرى كيف كان الوضع لو لم أتخطّ التحديات، لو لم أفز في اللعبة الأخيرة؟ مجرد جثة سيقرؤون لها الفاتحة مع كثير من الأسف وكثير من اللعنات من والد الفتاة ولا ألومه، وجهه ازداد نحولًا وبريق عينيه ازداد ذبولًا، وشعره ازدادت شيبته، لقد رأى الصعاب والأهوال بسببي في الفترة الماضية، صحيح أني مجرد سمكة وحيدة تعيسة يمكن التهامها من قبل حوت مثله، ولكن من يصدق أن هذه السمكة تحرشت بهذا الحوت وسببت له كل هذه المتاعب والوجع، لكن ما لا يعلمه هذا الرجل، هو أني لاقيت ما لا يخطر بباله أو بال أحد، ثُرى لو رويت لهم ما رأيت هل سيصدقني أحد أم سيرمونني بالجنون؟

بين غفوة طويلة وصحوة قصيرة، يروح عقلي ويجيء، لكنها غفوة آمنة، غفوة بلا عوالم أخرى، بلا كوابيس، بلا أصوات. ما أجمله هذا النوم الهانئ!

حين استعدت بعض عافيتي، كان الشاب الذي أرقدته في التابوت يوجه إليّ نظرات نارية، ثُرى هل علم ما فعلت به؟ والأوقات العصيبة التي مر بها بسببي، نظراته تؤكد ذلك رغم ما علمته من فقدانه للذاكرة.

آن الأوان لأصلح كل ما دمرته في الفترة الماضية، آن أوان ترتيب الأوضاع، وطوي هذه الصفحات المؤلمة من عمري. يجب أن تعود الفتاة إلى والدها وينتهي كل هذا.

كان أحد الجالسين والذي أراه للمرة الأولى يوجه لي نظرات حقد وكراهية، لا أعرف من هو ولكن وجهه المتحفز غير مريح، لن يتأخر لو جاءته الفرصة لإيذائي. علمتُ لاحقًا أنه الابن الأكبر لمروان خليل.

في هذه الليلة، كان كريم - كما عرفت اسمه - يقف أمامي يتابع تطورات جسدي وقدرته على الحركة من عدمها، حسبما أكد فجسدي قادر على القيام بالأمر.

انتهزت فرصة وجودنا وحدنا معًا وقلت له برجاء:

- أريد مساعدتك.

- مساعدتي أنا؟

- نعم، أريدك أن تحميني، لا أعرف ما ينوون فعله بي بعد انتهاء الأمر، بالتأكيد عرفت القصة؟

- نعم عرفت.

- ربما يقومون بإيذائي ولن يتوانوا عن قتلي لو أرادوا رغبة في الانتقام، كما عرفت منكم فأنا في نظر الشرطة ميت، أليس كذلك؟

- نعم، هكذا هو الأمر.

- أرجوك وفر لي الحماية التي تضمن لي العيش! ليس أمامي سواك، الباقين إما أجانب غرباء وإما رجال مروان خليل.

- ولماذا لم تحسبني معهم ضمن رجاله؟

- أنت طبيب، لا أظنك ستقبل بالمشاركة معهم في جريمة قتلي لو أرادوا، ولن تسكت على ذلك.

صمت وكأنه يزن الأمر، ويراجع طلبي الذي لم يكن في حسبانه. توسمت فيه شهامة أقوى من خوف أو طمع أو انتقام.

وفجأة نطق بالسؤال الذي يكتمه بداخله وأقرأه في عينيه:

- لماذا فعلت بي ذلك؟ وكيف فعلته وأنت راقد؟

ابتلعت ريقي بصعوبة، لم أعرف ماذا أقول.

- ولماذا قتلت أوليفيا؟

- لأنها كانت في طريقها لقتلي.

خرجت مني عفوية دون أن تمر على رأسي ففضحت نفسي بنفسي، أنا الذي لا أكف عن الإتيان بكل ما من شأنه تهديد حياتي وتدمير مستقبلي. وكأنه كان ينتظر اعترافي فنهض واقفًا في عصبية وهو يصيح:

- وأنا ماذا فعلت لك؟ كنتُ هنا لمساعدتك، لا أظن أني ضمرت لك شرًا.

وحين شرحت له الأمر على حقيقته، كانت نظرات الاستهزاء الصادرة منه موجهة لعقلي تمامًا، أنا في نظره مخبول. فأردفت في تأكيد:

- هل تظن أني قادر على محو ذاكرتكم؟ هل هناك وصفة طبية لذلك؟ أنت طبيب، لو هناك شيء كهذا أخبرني به، ذاكرتي أنا لا تحتمل كل ما ارتكبته من حماقات، لو أن هناك فردًا واحدًا يسعى إلى محو ذاكرته فتأكد سيكون أنا، ماضي غير مشرف وحاضر غير

مأمون ومستقبل مجهول تمامًا.

لم يقتنع تمامًا وفي نفس الوقت ليس لديه القدرة على التفسير.

- سواء صدقت أو لم تصدق، هناك رسالة لك من هذا العالم، لا أعرف ما محتواها، لو خرجت من هذا الأمر بخير غدًا، سأسلمك إياها، ولكن أرجوك، رافقني غدًا معهم، لو ذهبت وحدي فلا أضمن ما سيفعلونه عقب حصولهم على الفتاة.

- أتساومني على رسالة مزعومة وهمية؟

- بل استنجد بك، لأني لا أأتمن سواك هنا.

أعرف أني أضعه في موقف صعب ولكن ليس لي حيلة سوى ذلك.

في النهاية وافق على مضض.

في الصباح تحركت سيارتان إلى حيث مكان الفتاة، سيارة يستقلها مروان خليل ويقودها ابنه ياسين الذي تبدي نظراته كراهية بلا حدود وسيارة أخرى يقودها دكتور ضياء ودكتور كريم وأنا بصحبتهم.

انطلقنا إلى قرية صبيح بمركز ههيا بمحافظة الشرقية، هناك حيث تركت الفتاة عند جارة قديمة لأمي في الجيزة تعتبرني بمثابة ابنها، عادت إلى السكن بقريتها، صحيح أنها دائمة الاتصال بي بين الحين والآخر وصحيح أني انقطعت عن ودها منذ زمن، لكني أعلم مقدار ما تكنه لي من حب أنا وأمي رحمها الله، كانت تعيش وحيدة بعد وفاة زوجها بمنزل واسع منعزل على أطراف القرية. ذهبت إليها بالفتاة وأخبرتها بالقصة، وأخبرتها ألا تسمح لها بالخروج أو الهروب،

وأعلمتها بأني سأعيدها إلى والدها في أقرب فرصة ولكن بعد أن أضمن سلامتي أولًا، في البداية أمطرتني لومًا وعتابًا على جريمتي، وأسمعتني ما لذ وطاب من ثقيل الكلام باعتبارها أمي الثانية التي تخاف عليّ، ولكن تحت ضغط مني، قبلت بالاحتفاظ بالفتاة مع وعد بسرعة إصلاح الأمر. ولكنها رفضت الاحتفاظ بها في بيتها، كي لا ينكشف أمرها في أثناء زيارة أحد معارفها. ستحتفظ بالفتاة مقيدة بداخل حظيرة مهجورة مجاورة، على أن تقدم لها الطعام والشراب كل يوم.

وصلنا إلى القرية بالسيارة عبر طريق آخر غير الذي أعرفه، فلم أستطع الوصول إلى المنزل كما هو معتاد، فاضطررنا إلى السؤال عن منزل الست فرحة، بعض الأهالي دلونا على المنزل، سرنا قليلًا في منطقة خالية من الأشجار، رائحة العشب المقصوص تفوح من كل مكان وسط مجموعة من البيوت الطينية المسقوفة بالقش، وحين وصلنا لم يكن هو المنزل الذي أعرفه، طرقنا الباب، فخرج لنا شاب في أوائل العشرينات من عمره سألناه عن الست فرحة، فسمعناه ينادي:

- يا أماه، يا أما في ناس عاوزاكي.

جاءت لنا امرأة أربعينية ممتلئة الجسم، حين رأيتها عرفت على الفور أنها امرأة أخرى غير تلك التي أقصدها، فسألتني وأنا أقف مستندًا على كريم من فرط الوهن ووراني ياسين ووالده ودكتور ضياء:

- من تريد يا حضرة الأستاذ؟

فقلت لها:

- الست (فرحة) الساكنة عند أطراف القرية التي تجلس وحيدة في منزلها.

- أتقصد الست (فرحة بنت غانم).

- نعم نعم، أظن كذلك؟

- ألا تدري ما حدث لها؟

- ما الذي حدث لها؟

- رحمها الله سقطت في السوق منذ أسبوع ونقلوها إلى المستشفى وهناك خرج السر الإلهي.

قالتها ودارت بي الأرض وتصلب شعر رأسي فسألتها وأنا أصارع أنفاسي بينما الرجال من حولي يزمجرون و(مروان) وابنه يلعناني بأقذع الألفاظ.

- وبيتها؟

- ما له بيتها؟

- كيف أصل إليه؟

- اسلك هذا الطريق وخذ يمين في آخر شمال ستجده هناك!

ركبت السيارة بينما جاء (ياسين) إلى سيارة دكتور (ضياء) وهو يقول مهددًا:

- أختي لو لم تعد ففصل رأسك عن جسدك لن يكفيني.

توسلت إلى دكتور (كريم) وأنا أبكي:

- لا تتركني أرجوك، سيقتلونني لو تركتني.

فهز رأسه وعيناه تغالب دمعات تلمع في عينيه وعلى وجهه هم الدنيا، تحسست جيبي فوجدت ما أبحث عنه، الرسالة التي جئت له بها من عالم الألعاب، ثم دسستها في جيبه وقد شعر بيدي فهمست له بصوت كالفحيح بالكاد يخرج من حنجرتي :

- لا تقرأها الآن.

ثم ذهبنا كما وصفت لنا الست فرحة الأخرى الطريق، هبطنا من السيارتين، نعم هذا هو المنزل، وبجواره بعدة أمتار تقع الحظيرة التي تركث بها (هدير)، طرقت الباب ولكن القفل على الباب يسخر من غبائي، فقام (ياسين) بإلقاء جسده الفتى على الباب الخشبي عدة مرات حتى استسلم الباب للضربات وانفتح على مصراعيه. لتقابلنا الرائحة التي لا تطاق، رائحة نتنة لم أشم مثيلها في عمري، وحين دخلنا كانت جثة (هدير) بنفس ملابسها متعفنة تحوم حولها الحشرات ويتصاعد أزيز الذباب كلما اقتربت في مشهد لا يُحتمل، فوضع (مروان) يده على قلبه وسقط على ركبتيه وهو يئن كالنساء بصوت مكسور يمزق أساه نياط القلوب:

-هدير أين أنتِ يا هدير؟ ماذا فعلوا بكِ يا هدير؟ ما أطول ما انتظرتك! ما أطول ما انتظرتِني يا هدير!

لو رأيته سيصيبك جزعه كطلقة نارية، ثم سقط على الأرض بكامل جسده وقد بلغت به الصدمة مبلغًا يصعب حياته معها، فسقط مغشيًا

عليه عاجزًا عن التنفس كما لو أن الأكسجين تلاشى من المكان فجثا (ضياء) على ركبتيه يحاول مساعدته وجس نبضه، أما (ياسين) فأخرج مطواة من جيبه وهجم عليّ فقابله (كريم) صائحًا:

- لا تفعل، أرجوك لا تفعل! سنسلمه للشرطة.

- ابتعد عن طريقي وإلا قتلتك قبله!

- دع القانون يأخذ لك حقك.

ولكن (ياسين) لم يكن على استعداد لسماع أي كلمة، اشتبكا في عراك قصير وأنا أحاول الابتعاد ولكن الجسد الواهن لا يطاوعني على الفرار كما أريد.

تخلص (ياسين) من (كريم) بعد أن وجه له ضربة خاطفة في كتفه بالسكين، فقطعت قميصه وجرحت ذراعه فأخذ يتألم، في هذه الأثناء كانت يدى تلعب في جيبي وتبحث عن وعاء بلاستيكي صغير بحجم شاشة ساعة اليد، فتحته بسرعة وقبل أن يصل (ياسين) إليّ كنت قد ابتلعت القرص، ثم غرز سكينه في معدتي وأنا أتراجع إلى الوراء لا إراديًا، فتناثر السائل الأحمر على الأرض، وأغمضت عيني ربما للمرة الأخيرة في هذا العالم.

(٢٠)

خاتمة

في المستشفى وعقب تلقيه الإسعافات اللازمة لعلاج جرحه، قام (كريم) بالبحث عن (ضياء) في الأرجاء، بحث في كل الطوابق حتى وجده ودار بينهما هذا الحوار القصير:

- أين مروان؟

- في ذمة الله، لم يتحمل قلبه الصدمة، لفظ أنفاسه الأخيرة بعد دقائق من رؤية جثة ابنته.

- وياسين؟

- لاذ بالهرب قبل وصول الشرطة والإسعاف.

- وماذا عن علاء؟

- نزف الكثير من الدماء، لا أظنه سيعيش، على الأغلب سيرحل هو الآخر، نهاية متوقعة لشخص مثله، بل تأخرت كثيرًا.

الحزن يطبع قسماته على كليهما، همّ (كريم) بالابتعاد فناداه (ضياء) وهو يخبره :

- أظنهم ينتظرون منا الآن سماع أقوالنا.

فابتعد (كريم) دون أن يجيب وهو يمسك ذراعه المصابة.

وفي الطريق إلى منزله وضع يده في جيبه حتى عثر على ورقة صغيرة، أخرجها وفتحها ببطء قبل أن يقرأ ما فيها وتتسارع دقات

قلبه من جديد:

- نأسف لوضعك في التابوت، كانت مجرد لعبة لـ(علاء) وقد اجتازها بنجاح دون أن يكون لك ذنب، نأسف على اللحظات التي عشتها بداخل الصندوق، لقد نجوت من موت مزيف، وحان الوقت لنشكرك بطريقتنا لتنجو من موت محقق، أنت بحاجة للكشف على جسدك، هناك ورم ينمو الآن داخلك، اقضِ عليه قبل أن يقضي عليك.

***

بعد زيارة الرجل العجوز لهاني في عيادته تعددت الرسائل مع آخرين، وكلها تحمل نفس المعنى، هذا العالم يدعوه للزيارة بشكل مُلِح، كان قد اتخذ قرارًا منذ فترة طويلة وهو التوقف عن تصنيع هذا العقار، لن يسمح لنفسه بتعذيب الآخرين أكثر من ذلك، لن يكون أداة تعذيبهم ولن يحاسبهم على جرائمهم، لن يمكنه مستقبلًا هو أو غيره سؤال المريض عن جريمة قتل سابقة، ولن يمكنه إخبارهم بالآثار الجانبية حال كذبهم. لقد صنع لهم دون قصد قبرًا فريدًا، قبرًا يصعب العودة منه إلا بعد أن يروا عذابات هذا القبر، الآن عليه أن يتوقف وكفى ما وصل إليه وكفى ما عرف، لذا قرر ترك كل ما يتعلق بهذا العقار وحين طلب منه (ضياء) المساعدة رفض التدخل في الأمر، لن يورط نفسه من جديد في أي ما يتعلق بهذا العقار ولكنه عاد وساعد (كريم) كإجراء أخير قبل التوقف الأبدي، أبحاثه لم تتوقف وقد وجد أن البعض عند التأخر في تنشيط قلبه يعاني من خطر فقدان الوعي الدائم، لذا اجتهد حتى استخلص عقارًا يمكنه المساعدة في حالة تأخر إنعاش القلب قليلًا، لكن عليه الآن أن يلقي

كل أبحاثه وعقاقيره السحرية وراء ظهره. لكن الرسائل التي تطالبه بالزيارة لم تتوقف، وفي كل مرة تتصاعد الحدة. بعد طول بحث وتفكير اتخذ قراره، أغبى قراراته، قرر خوض التجربة بنفسه، زيارة هذا العالم، كل ما يحتاجه جرعة من العقار الذي يعمل على تثبيت ضربات القلب عند الحد الأدنى بعض الوقت ثم تحفيزه من جديد بالصدمات الكهربائية. ليرى بنفسه ما عاينه وشاهده بعض مرضاه وفئران تجاربه.

في غرفة مجهزة ومعدة لإجراء تجاربه جلس هاني يتحرك يمينًا ويسارًا بصحبة طبيب شاب يتوسم فيه شغف وعبقرية وهو يلقنه التعليمات الأخيرة قبل الإقدام على رحلته العجيبة لعالم لا يعرفه ولكنه يطلب حضوره بشكل عاجل، آن الأوان ليمر عبر القبر الذي صنعه بيديه للآخرين، آن الأوان لزيارة العالم الذي لم يتخيل قط وجوده، آن الأوان أن يذوق طباخ السم مرارة ما صنع. ثم تناول العقار وهو راقد على الفراش وحوله كافة الأجهزة اللازمة لتنشيط قلبه من جديد بعد فترة من الوقت .

***

تقرير المستشفى بشأن حالة علاء

«وصل المدعو علاء عبد العزيز إلى المستشفى بعد تعرضه للطعن، كان بحاجة لتعويض الدم المفقود، في أثناء تحضيره لذلك، توقف قلبه عن العمل، حاول الأطباء معه مرة واثنتين وثلاثة حتى تمكنوا من إنقاذه وعاد قلبه إلى العمل بأعجوبة مرة أخرى، ولكنه الآن غارق في غيبوبة وبحاجة إلى متابعة كاملة على مدار اللحظة، لأن حالته

ما زالت خطرة».

لا أحد يعرف مدى الذعر الذي يصيب شخصًا يعرف أن هذا هو يومه الأخير في الحياة، ولكني عرفته مع رؤيتي لجثة هدير. لقد انهار سقف حياتي خارج أرض الألعاب وتهاوى على رأسي فهربت على الفور لألعاب النوم.

بجفون ثقيلة ونصف وعي أفتح عيني، أنا ممدد على الأرض والضباب من حولي يحتضني كصديق قديم، علمت أني وصلت إلى أرض الألعاب، صحيح أن المشهد حولي مختلف ولكنه ليس العالم الذي تسببت فيه بقتل (هدير)، بعد قليل تمالكت نفسي ونهضت، لم أظن أن عودتي لهذا العالم ممكنة، لم أظن أنه سيكون ملاذي الوحيد الذي يفتح لي ذراعه بعد أن شدّت في وجهي جميع الطرق، الموت كان بانتظاري في عالمي، أما هنا فما زلت أحظى بفرصة، ما زال هناك أمل ولو بسيط، لو استمريت في الفوز، يا له من شقاء! لا أعلم نوع التحديات التي ستواجهني ولا المغامرات التي سأخوضها، ولكني سأحاول من جديد مع ألعاب المستوى الثاني، ربما انتصار أو أكثر يمنحني قليلًا من الحياة وربما هزيمة تبقيني ضيفًا دائمًا، كلا الخيارين عسير، لو كنتُ مستعدًا للموت لغادرت العالمين بسلام، ولكن الحقيقة التي لا جدوى من إخفائها أني خائف، خائف جدًا من الموت، بل مرعوب.

لا يمكنني تحديد أي الاتجاهات أسلك ولكن مع استشعاري لريح باردة بدأ الضباب ينقشع رويدًا رويدًا وضوء أشبه بضوء القمر يسطع من حيث لا أدري، على بُعد مائة متر رأيت أمامي للمرة الأولى

بوابة ضخمة عملاقة منعني الضباب في بادئ الأمر من ملاحظتها، مصراعاها العملاقان بارتفاع مبنى مكون من خمسة طوابق، يمتد على جانبيها سور حجري شاهق، اقتربت أكثر فلمحت انفراجة بسيطة في البوابة تسمح بمروري، مع اجتياز شعاع بسيط أصفر قادم من الداخل يشق السواد حولي، بعد برهة سمعت أزيز البوابة المزعج التي تتزحزح بعنف وفي طريقها إلى الانغلاق بالكامل، أسرعث وحشرث نفسي قبل أن تنغلق تمامًا، دسست جسدي بصعوبة إلى الداخل، بينما الدرفتان يتعانقان بشكل كامل بعد حركة أخيرة، الآن أقف مستندًا بظهري على البوابة الشاهقة، أما ما رأته عيني المذعورة فأسقط قلبي على الأرض هلعًا، ظننت أني تركت الأسوأ ولم أكن أعرف أنه سيبدأ للتو، استدرت إلى الخلف في محاولة ساذجة لإعادة فتح البوابة، محاولة بائسة لا طائل منها، آسف مضطر إلى التوقف، ينبغي العدو الآن، الهروب على الفور بقدر ما استطيع.

تمت

شكر خاص

لـ(د/ إيهاب إسماعيل)

للمعلومات الطبية القيمة

لأصدقائي الكتاب المبدعين

- محمد علي علي

- محمد أبو النجا

لملاحظاتهما القيمة ومراجعاتهما التي أفادت الرواية كثيرًا

الأعمال السابقة

- سجن الموتى (رواية)

- حفلة دم (رواية)

- نداء الشيطان (رواية)

للتواصل مع الكاتب: